

# دراسة المكان في روايات أيمن العتوم، رواية (أنا يوسف) نموذجاً

شيماء محمد علي وهيبي

طالبة ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران

zainzain624@gmail.com

الدكتور مهدي شاهرخ

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران

m.shahrokh@umz.ac.ir

الدكتور حميدرضا مشايخي

أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مازندران، إيران

mashayekhi@umz.ac.ir

The study of the place in the novels of Ayman Al-Atoum,  
the novel (I am Youssef) as a model

Shaima Muhammad Ali Al-Wahbi

Master's student , Department of Arabic Language and Literature ,  
University of Mazandaran , Iran

Dr. Mehdi Shahrokh (Responsible Writer)

Assistant Professor , Department of Arabic Language and Literature ,  
University of Mazandaran , Iran

Dr. Hamid Reza Mashayekhi

Associate professor , Department of Arabic Language and Literature ,  
University of Mazandaran , Iran

## **Abstract:-**

The place in the novel has attracted the attention of many scholars because in the narrative text it is more than just a silent thing or a background on which the events of the novel are located.

Ayman Al-Atoum, the contemporary Jordanian narrator, is one of those writers who tried to build dreams from reality, and from reality a fantasy. It is as if he wanted to live a world other than his world, and a life other than his life, so he found in the language what he wanted. Extrapolating the narrative texts and memorizing the impact of the place within the novel and employing them in their respective places mentioned by the writer in his narrative text.

The results of the research indicate that when Ayman Al-Atoum goes to the use of the place and its manifestations in his novel, he only reveals his awareness of the essence of the conflict in life, and also reveals his awareness of the interactions of this conflict and its causes, while the researchers found a large number of closed places in the novel in relation to the open spaces, as some events occurred Inside closed places such as the den, the house of the dear and the prison.

**Key words:** the novel, the place element, Ayman Al-Atoum, I am Youssef.

## **الملخص:-**

لقد حظي المكان في الرواية باهتمام كثير من الدارسين لأنه في النص الروائي يتجاوز كونه مجرد شيء صامت أو خلفية تقع عليها أحداث الرواية، فهو عنصر غالب في الرواية حامل للدلالة، ويمثل محوراً أساسياً من المحاور التي تدور حولها عناصر الرواية.

ويُعَدُّ أيمن العتوم الراوي الأردني المعاصر، أحد أولئك الكتاب الذين حاولوا أن يبنوا من الواقع أحلاماً، ومن الحقيقة خيالات؛ وكأنه بذلك يريد أن يعيش عالماً غير عالمه، وحياة غير حياته، فوجد في اللغة ضالته، فقد أمدته بطاقة جديدة استطاع من خلالها أن ينفذ إلى ما يريده، فكان عنصر المكان أحد وسائله في الوصول إلى مبتغاه، يحاول هذا البحث معتمداً على المنهج الوصفي والتحليلي إلى استقراء النصوص الروائية واستظهار أثر المكان داخل الرواية وتوظيفها بالأماكن الخاصة بها التي أوردها الكاتب في نصه السردي.

تشير نتائج البحث إلى أن أيمن العتوم عندما يذهب إلى استخدام المكان وتجلياته في روايته إنما يكشف عن وعيه بجوهر الصراع في الحياة، كما يكشف عن إدراكه لتفاعلات هذا الصراع وحيلاته، في حين وجد الباحثون كثرة الأماكن المغلقة في الرواية بالنسبة للأماكن المفتوحة إذ أن بعض الأحداث حدثت داخل الأماكن المغلقة مثل الحب وبيت العزيز والسجن.

**الكلمات المفتاحية:** الرواية، عنصر المكان، أيمن العتوم، أنا يوسف.

## ١- المقدمة:

إنّ للأدب فنوناً كثيرة وأجناساً أدبية متعددة ومن هذه الفنون نجد ذلك الجنس الأدبي الذي يسمّى الرواية والتي تعدّ شكلاً من أشكال التعبير الإنساني عن الحياة الاجتماعية، وقد أثبتت وجودها في الساحة الثقافية العالمية والعربية، بما تتوفر على مرونة وقدرة عالية على مجريات تحويل الواقع والخيال الفني، وبما يتميز به بتماصك شديد بين العناصر المكونة لها، كما أنّها في الأساس فنّ مكاني بما تحمل من دلالة قوية في تشكيل النسيج العام للنتاج الروائي، كما يمثّل العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل الروائي ببعضها البعض، من شخصيات وأحداث وسرد وحوار، ولكون المكان المحور الأساس في استشراف الأبعاد الجمالية والإيحائية في كلّ تشكيل عمل سردي.

كما أنّ الرواية تعدّ من أبرز الفنون السردية الحديثة التي ظهرت خلال القرن العشرين، وارتقت على الساحة الأدبية ونالت المقام الأول في المجال الأدبي وصارت تعكس هوية المجتمع منذ بلوغها مرحلة النضج وعبرت عن كثير من القضايا الإنسانية خلال اتصالها بواقع المجتمع التي أصبحت بمثابة سجلّ له. شهدت الرواية العربية تطوراً من حيث الشكل والمضمون وصارت أوسع وأشمل من القصة. حتى أنّها بعدما أضحت لديها مكانة راقية قدمتها على سائر الفنون الأدبية، شغلت بال النقاد وأخذت نصيبها من التمهيص والتحليل ونافست سائر الفنون السردية الأخرى من حيث المضمون والكتابة وآليات السرد. وقد أثار هذا الفنّ جدلاً في أواسط الدارسين، وعلي رأسهم "عبدالمكّ مرتاض" الذي عرفها بأنّها: ((نقل الراوي لحديث محكي تحت شكل أدبي يرتدي أردية لغوية تنهض على جملة من الأشكال والأصول كاللغة والشخصيات والزمان والمكان والحدث، يربط بينها طائفة من التقنيات كالسرد والوصف والحبكة والصراع)) (مرتاض، ١٩٩٦: ٢٦).

إنّ المقصود من البنية السردية هي العلم الذي يبحث عن صياغة نظرية العلاقات بين النصّ السردى والقصة والحكاية. بمعنى العلم الذي يعني بمظاهر الخطاب السردى من حيث الأسلوب والدلالة، كما يعتبر النصّ الأدبي ومكوناته هو مجال اهتمامها. والبنية السردية تنشأ غالباً من عاملين هما: ((نوعية المادة المكونة لكلّ بنية ثمّ المعالجة الفنية لهذه المادة، والبنية السردية لا تتعارض مع بنية النصّ بل هما متداخلتان فيما بينهما فإحدهما تمثل

صوت الجماعة والثانية تمثل الصوت الفردي)) (تاورقة، ٢٠٠٨: ٣٨). إذن فالبنية السردية مصطلح نقدي يتمكن الدارس من الوقوف على مكونات النص الأدبي والكشف عنه.

اختلفت الآراء حول وضع مفهوم يجمع خصائصها الفنية، ولعدم وجود قواسم مشتركة بين مختلف الروايات؛ لذلك قُدمت مجموعة من الآراء التي تكاد تكون جزئية لمفهوم الرواية في أبعادها ومقوماتها، وقد جاءت آراء المعرفين حول مفهوم الرواية بما يتحدث عن عدد كلماتها، وأنها أطول من القصة القصيرة، ومنهم من ذكر أنها أكثر من خمسين ألف كلمة، ومنهم من ركز على الوظيفة التي تقدمها الرواية للقارئ، ومنهم من اهتم بمضامينها، ولمعرفة مفهوم الرواية يجب معرفة تاريخ نشأتها، فقد نشأت بتطور المجتمع البرجوازي وسباق فلسفته الجدلية، فهي نتاج عن التحولات التي عاشها المجتمع البرجوازي، وربطه مع الماضي الملحمي، على اعتبار أنها ملحمة من غير إله، فالملحمة قلبها شعري، والرواية قلبها نثري، وكل رواية مختلفة عن الأخرى، وهي بطبيعتها فنٌ بحد ذاتها تنفرد عن غيرها في جوهرها وخصوصيتها، وهي فن أدبي نثري لا يتقيد بضوابط معينة، ويحتل كل الاحتمالات، فقد ذكر الكثير من النقاد أنه لا يوجد تعريف شامل للرواية؛ لأنها فن أدبي قابل للتطور والاستمرار، وعلى المجل فإن الرواية فن أدبي يعتمد على السرد، ويختلف عن الأسطورة، فكاتبها معروف غير مجهول، وتختلف عن الخبر التاريخي، لأنها وحي من الخيال، وتختلف عن الملحمة، لأنها من الأجناس النثرية، وتختلف عن الحكاية والأقصوصة، لأنها عمل أطول منهما، وتختلف عن الخبر، لأنها ذات بنية سردية معقدة (قسومة، ٢٠٠٨: ٥).

إن الرواية ((تتناول مشاكل الحياة ومواقف الإنسان منها في ظل التطور الحضاري السريع الذي حدث فيها، والرواية شهده المجتمع الإنساني خلال هذا القرن العشرين. لقد شهدت أوائل القرن العشرين محاولات بسيطة في كتابة الرواية العربية عاجلت موضوعات تاريخية واجتماعية وعاطفية بأسلوب تقريرى مباشر توخت تسلية القارئ وتعليمه ثم تبعت ذلك محاولات فنية جادة في كتابة الرواية.

كل فن في الأدب العربي عناصر ومقومات يركز عليها، وفي مجموعها تشكل الفن، والرواية من الفنون التي تحتوي العديد من العناصر، التي بدونها تفقد الرواية قيمتها، وقدرتها على إيصال الأفكار، ومن هذه العناصر:

الراوي: من أهم العناصر الخاصة بالرواية الراوي، فهو بالعادة الشخص الذي يلم بكل أطراف الرواية، من شخصيات، وأحداث، وأفكار، وهنالك أنواع للرواية: الرواية المحايد: وهو الرواية الخفية أو غير ظاهر، ولكن يعرف جميع ما يدور في خلجات الشخصيات، وما يدور في عالم الرواية بدقة، وهذا النوع من الرواية استخدمه نجيب محفوظ في روايته "بين القصرين". الرواية الذي يروي عن نفسه: وهذا الراوي جزء من الرواية، فهو يعبر عن أحاسيسه، ولكن ليس لديه القدرة على تفسير وتوضيح مشاعر الآخرين، وذلك لأنه لا يعرفها.

الزمان والمكان: ونعني هنا زمن الرواية الذي يجمع بين الحقب الزمنية العامة التي حدثت فيها الأحداث، والزمن الخاص للرواية مثل الشهر أو اليوم، ومكان الرواية التي حدثت فيه الأحداث، والذي يصفه الكاتب بدقة وتفاصيل ليضع القارئ في جو الرواية.

العقدة: وهذا عنصر التشويق والإثارة في الرواية، فعندما يبدأ الصراع، تتطور الأحداث، لتتوالى حياة الشخصيات، وتدفعها لحل العقدة، وهذا العنصر يظهر في المشاهد الأولى للرواية، وحله يعرف بحل العقدة.

الشخصيات: وهي عنصر الحركة في الرواية، فمن المفترض أنها مستوحاة من الواقع، وتحمل آمالاً ومخاوف، ولها نقاط ضعف وقوة، وتعمل للوصول إلى هدفها، وهي تنقسم إلى بطل، وخصم لهذا البطل، وأشخاص ثانوية، منها ما يدعم البطل، ومنها ما يعيق البطل.

الحوار: هو المحادثة التي تجسد أحداث الرواية، وتوضحها.

الفكرة: وهي موضوع الرواية، والذي من خلاله يتم مناقشة قيمة معينة، وهي مرتكز الرواية الأولى.

الحبكة: هو سير أحداث القصة باتجاه الحل، وفي الرواية تتسلسل الأحداث بشكل طبيعي، فتتصاعد ثم تحل. الخيال والأساليب واللغة.

ثم إن الزمان والمكان أحد المكونات الأساسية في بناء البنية الروائية، لأنها تشمل حيزاً مكانياً وزمانياً أكبر فهي بحاجة إلى مكون الزمن ليعطيها بُعداً زمنياً وكذلك بحاجة إلى مكان ليعطيها مساحة لحركة الشخصيات ونمو أحداثها، يتداخل عنصر الزمان والمكان ليحدد كل

منهما معنى الآخر ومن خلالهما يتألف النص السردي (شاهين، ٢٠٠٦: ٦٥).

يوصف المكان الروائي - الذي هو المكان المحدد غالباً - أنه مسرح للأحداث أو الحيز الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتتبادل العلاقة بين الشخصية والمكان لتمنح العمل الروائي خصوصيته ليكتسب المكان صفاته ومعناه ودلالته. (بحراوي، ٢٠١٢: ٢٦). سنحاول دراسة المكان في الرواية التي اخترناها لتكون النموذج لدراسة المكان.

#### ١-١- أهداف البحث:

إن أهداف البحث هي:

- التعرف على ماهية المكان بأنواعها غير المحدودة.
- التعرف على كيفية بناء الحبكة الروائية في رواية "أنا يوسف" لأيمن العتوم.

#### ٢-١- أسئلة البحث:

الأسئلة التي تطرح في هذا المقال هي:

١. ماهي العناصر التنظيمية المكونة لرواية أنا يوسف؟
٢. ما هي خصوصية وماهية المكان في رواية أنا يوسف؟

#### ٣-١- منهج البحث:

تتم هذه الدراسة وفق المنهج الوصفي التحليلي، حيث نستخدم المنهج الوصفي في استقراء نصوص الرواية ثم توظيفها من خلال استخدام عنصر المكان وما ينطوي تحته من مواد ثم المنهج التحليلي حيث يقوم البحث بتحليل تلك النصوص وفق النظريات السردية التي تستخدم المكان وأنواعه وكيف قام الكاتب بتوظيف هذا العنصر.

#### ٤-١- الدراسات السابقة:

هذه الرواية "أنا يوسف" لأيمن العتوم تتناول القصة المعروفة بأحسن القصص لكن لم نجد هناك دراسة تتناول هذه الرواية وتطبقها على المكان السردية. لكن وجدنا دراسات تناولت المكان في نماذج أخرى منها:

١. مقال "المكان بوصفه محفزاً سردياً وثقافياً لرواية طوق الحمام لرجاء عالم أمودجاً"، حمدان محسن الحارثي في جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية سنة (٢٠١٥) يناقش فيها المكان الروائي في رواية طوق الحمام للروائية السعودية رجاء عالم. يعالج فيها تمثيلات وتنوعات المكان وسيرورة السرد ودلالات التشكيل وعلاقة هذه المستويات بالشخصيات وآليات السارد وتعدد الأصوات الروائية. من النتائج التي يريد المحسن الكارثي الوصول إليها هي: تناول المكان لا يتوقف على بعده الجغرافي المجرد بقدر ما هو استكنه للوجه الثقافي والذي يقدم صور الاختلاف والتمايز، كما أنه يوجه السرد ويشكل مظهراته المختلفة، كما يقدم المكان عبر آليات سردية أشكالاً أخرى للإنسان، حيث أصوات الهامش، كما يبدو المكان تمثيلاً نموذجياً للتاريخ والحاضر الثقافي.

٢. مقال "الزمكانية في رواية أعاصير في بلاد الشام" كتبه حسن شوندي وزهرا محمودي اصفهاني سنة (١٣٩٠) حيث اعتمدا على واقع الرواية، وأهم القضايا والمفاهيم والأفكار التي تناولوا بهذا الصدد، ومن ثم يخلص إلى دراسة الرواية فنياً فيقف على علاقتها بالمكونات الروائية المكان والزمان. من النتائج لهذه الدراسة: هذه الرواية نجحت في تصوير الزمان والمكان الروائيين بلغة جميلة وطريقة تيار الوعي وانتقال الأفكار والحوار الداخلي في معمار روايتها الطويلة هذه.

٣. مقال "رواية النهايات لعبدالرحمن منيف، دراسة في الشخصية والمكان" للباحث على كنجعلي ومحمد احمدنيا، المنشور في مجلة اللغة العربية وآدابها سنة (٢٠١٥) يستهدف هذا المقال أن يتعرض تعرضاً موجزاً لشخصية عبدالرحمن منيف ومكانته الروائية ودوره في تطوير العربية وأن يعالج الشخصية والمكان في "النهايات" وعلاقتها في هذه الرواية. من النتائج التي وصل إليها أن الكاتب استطاع أن يصور عنصري الشخصية والمكان تصويراً بارعاً كما أنه وظفهما توظيفاً فاعلاً وحولهما إلى عنصرين مؤثرين مفيدتين للتعبير عن أفكاره ومقاصده.

٤. رسالة الماجستير المعنونة بـ "البنية السردية في رواية عرش المعشق لربيعه جلطي" تم نقاشها في جامعة العربي بن مهيدي - الجزائر، حموش نورالهدى وبإشراف يمينه بن سويكي سنة (٢٠١٤) بهدف توضيح بنية النص عند معظم الدراسين الغربيين

بالإضافة إلى تحليل الخطاب الروائي لسعيد يتطين مع الاستعانة بما قدمه "محمد بوعزه" في كتابه "تحليل النص السردي" وغيرها من المصادر والمراجع المعتمدة. النتائج التي وصلنا إليها خلال هذه الدراسة: أن الروائية تحاول أن تثبت أن المظاهر الخارجية للإنسان ليست معياراً للحكم عليه بأنه حسن أو سيئ. كل هذا جعل الكاتبة تكسر قواعد الرواية العربية العادية التي غالباً ما تقدس الجمال الأثوي وشكله وتفاصيله وتغفل جمال الروح وصفاء الوجدان. ليس هذا فحسب بل أبت الكاتبة إلا أن تميّط اللثام عن تاريخ المجتمع الجزائري لا سيما فترة المقاومة الشعبية كما تتوقف عند محطات تاريخية ثورية مثل ثورة أكتوبر ١٩٨٨.

٥. رسالة الماجستير المعنونة بـ "البنّي السردية في روايات أحمد رفيق عوض القرمطي وعكا والملوك" معالي سعدو العبد شاهين فيسنة (٢٠١٧) تحت إشراف عبد الخالق محمد العف وتم نقاشها في جامعة غزة الإسلامية، للبنّي السردية في روايتي "القرمطي وعكا والملوك" لأحمد رفيق واحتوت الرسالة على تمهيد وستة فصول وخاتمة ومن النتائج التي وصلت إليها هي: أن الروائي كسر قالب السرد الحكائي التقليدي الملتزم بالترتيب الزمني وأظهرت العلاقات التناسية قدرة الروائي على استنطاق النص المقتبس عبر تفجير طاقاته الكامنة وامتصاصها وإخراجها على شكل تراكيب لغوية ضمن سياقات شعورية ونفسية.

في حين أن هذا البحث تميز بأنه استعمل عنصر المكان في رواية ذات طابع ديني أغلبها مأخوذة من نصوص تفسيرية.

## ٢- أيمن العتوم، حياته وأعماله:

أيمن على العتوم شاعر، وروائي أردني، وُلد في الأردن في مدينة سوف بمحافظة جرش في ١٩٧٢/١٨/٢م (الأسمرى، ٢٠٠٥: ١١). وكان والده قيادياً في حركة الإخوان المسلمين، بالأردن، كان منذ نشأته وهو محباً للغة العربية وكان يلقي الشعر، وذات مرة عام ١٩٩٦ ألقى القبض عليه بعد أن ألقى إحدى قصائده لهجائه النظام ودخل السجن على إثرها ليقضي فيه ما يقرب من عام كمعتقل سياسي، وفي أول رواية له "يا صاحبي السجن" نشر تجربته هذه ببعض التفصيل. (العتوم، ٢٠١٩: ١٢). أما طفولته فنشأ في الأردن ثم انتقل مع

عائلته إلى الإمارات العربية المتحدة ودرس هناك، ثم عاد إلى الأردن واستقر فيها، وأكمل مسيرته العلمية وحصل على عدة شهادات جامعية ظهر في تقديراتها مدى نبوغه الأكاديمي وحبّه للعلم (التميمي، ٢٠٢١: ٣).

كان أيمن ناشطاً أدبياً فعالاً أثناء فترة دراسته حيث أسّس العديد من اللجان الأدبية وأندية الكتب أثناء فترة دراسته في ثلاث جامعات التي درس فيها، كما اعتاد على المشاركة في الكثير من الأمسيات الشعرية في بلده الأم - الأردن - وغيرها من البلاد العربية الشقيقة مثل الإمارات ومصر وقطر والعراق والسودان (المصدر نفسه: ١٤).

تلقى أيمن العتوم تعليمه الثانوي في إمارة عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة، ومن ثم التحق بجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، وحصل منها على درجة البكالوريوس في الهندسة المدنية عام ١٩٩٧م، ثم حصل على بكالوريوس اللغة العربية عام ١٩٩٩م من جامعة اليرموك، ثم أكمل دراساته العليا في تخصص اللغة العربية، حيث حصل على الماجستير عام ٢٠٠٤م ثم الدكتوراه في النحو عام ٢٠٠٧م.

اتجه أيمن بعد الحصول على بكالوريوس الهندسة - الذي يحلم به الكثيرون - إلى دراسة اللغة العربية في جامعة اليرموك، بجانب عمله الأدبي، عمل أيمن العتوم بتخصصه الأول - الهندسة المدنية - حيث عمل في عامي ١٩٩٧ و ١٩٩٨ مهندساً تنفيذياً في مواقع إنشائية مختلفة، ثم اتجه بعد ذلك للعمل بتخصصه الثاني مدرساً للغة العربية في العديد من المدارس الأردنية مثل أكاديمية عمان ومدارس الرضوان ومدرسة اليوبيل ومدرسة عمان الوطنية ومدارس الرائد العربي. (الأسمرى، ٢٠٠٥: ١٤). هذه مرحلة تربية الذوق الأدبي بفضل الحاضنة الثقافية لمدينته وثقافتها التي انعكس عليها أثر البيئة، إذ عنى مدرسو المدارس في ذلك الوقت بالأدب والشعر وفنونه، وفن إلقاءه وتنمية الشجاعة الأدبية، وما لمدينته مكانة وشهرة وعناية باللغة وبلاغتها، على المستوى الديني، والمستوى الاجتماعي الذي أثر وصقل الموهبة بثقافة موسوعية أسهمت في تكوين الشخصية الأدبية وتظهرها للوجود. (إسماعيل، ١٩٨١: ١٦٣). وتركت تراثاً وأثراً كبيراً في مجال الفن والفكر بما يشحذ المواهب النامية؛ لأن العتوم كان - بحسب ما يصفه الدارسون كان ((حائزاً على حظ كبير من الذكاء والذوق السليم حين يتصل الأمر بالإبداع الشعري، والشخصية المتناسكة من

أجل البناء المتناسك.... المتصل تمام الاتصال بالشخصية التي تجمع الذوق والفكر)) (العتوم، ٢٠١٩: ٧-٨). وهذا يعني أن سيرة العتوم العلمية اعتمدت على موهبة صقلتها الحاضنة الأدبية ومدارسها، وأثرت كثيراً في تخصصه الجامعي الأدبي، إذ التقى خيرة الأكاديميين النابغين، الذي احتل في فن الرواية الأدبية المكانة الأولى من نشاطه الأدبي بوصفها غاية في ذاتها أو إبداعاً جمالياً أصيلاً ينقل رسالته لا إلى القارئ الآني، بل إلى القراء المستقبلين، بدلاً من المقالة ذات المنحى التقريري التي تتوخى إيصال الأفكار بأقرب الطرائق السائدة ثم ينتهي عمرها في وقتها لجفاف أسلوبها الأدبي)) (التميمي، ٢٠٢١: ١٤-١٥).

وعلى الرغم مما تقدم فإن عوامل أخرى أسهمت في بناء شخصية العتوم العلمية، منها: نسبه الكريم وبيئته المدنية الجميلة وتربيته، فكانت شخصيته هادئة متزنة لم تنجرف إلى التقلبات الخارجية من دون الرجوع إلى التأمل واستبطان القضايا المختلفة لمعرفة انعكاساتها في النفس، فكانت متوافقة تصدر عن عمق المبادئ فيه، وهي مبادئ التنوير العقلي حتى بقي مخلصاً لقلمه ولفنه ولنفسه، وبهذا الشأن استضافته صحيفة المدى بهدف تحديد مفهوم التنوير فرأى أنه إعادة الإنسان إلى حالته الأولية الطبيعية عن طريق تحويل الخير العفوي إلى الحالة الطبيعية بانتصار واع ونهائي لعقلانيته، ذلك أن التنوير يسعى إلى مناقشة الفكر الديني والأفكار الأخرى بإشاعة الفكر.

ومما تقدم يتبين لنا أن البيئة الأردنية التي ولد ونشأ فيها قد أثرت في صقل موهبته وأسهمت في تربية ذوقه الأدبي، وقد اتصلت هذه البيئة الثقافية بالبيئة الجامعية والحاضرة الثقافية الكبرى وهي في أوج عطائها الأدبي والفني في عقد التسعينيات من القرن الماضي بالتقاء مع أساتذة متحررين متنورين أحاطوه بالرعاية الفكرية والفنية، حتى برع العتوم في كتابة فن الرواية لكثير من القراء، ونجح في هذه الكتابة الإبداعية التي نفذت إلى اكتشاف أنساق الثقافة وجمالياتها وما تحمله من قيم ومواقف وآراء تعزز منظومة القيم الكبرى، مثل الخير والجمال، اعتماداً على ثوابت لم تتغير بالتقلبات الاجتماعية والدينية والحزبية والسياسية التي كانت حاضرة آنذاك.

فكان لكتاباته دورها البارز الذي لا ينكر في إثارة الشعور والإحساس الوطني، والانتماء للمكان، ورفض الاستعمار، والذل والهوان، كما أبرز الشاعر العديد من القضايا القومية

كالدعوة إلى الوحدة العربية، والتضامن العربي، والدعوة إلى التحرير، واستنهاض الهمم وأيقن الكاتب أن للرواية رسالة تصبو إلى تحقيقها وهي أن يتناول هذه الحياة من حيث هي سعادة وشقاء، ومن حيث هي لذة وألم، ومن حيث هي جد وهزل، ومن حيث هي مأساة وملهاة، ثم يعبر عنها تعبيراً فنياً جميلاً، فيكون حينئذ قد أدى مهمته، وترسم انفعالات الحياة، وخطى الأحداث، ذلك أنا في حاضرنا المليء بالأحداث والانفعالات، نحتاج إلى ذلك الفن الذي يعيش الحياة للحياة، وينفعل بالأحداث، ويصورها (العتوم، ٢٠١٩: ٨).

### ٣-رواية (أنا يوسف) في سطور:

تعد رواية "أنا يوسف" واحدة من أشهر أعمال الكاتب الأردني والشاعر والروائي الشهير أيمن العتوم، ولقد حققت روايته هذه مبيعات كبيرة، ولاقت شهرة واسعة وحقت أيضاً رواجاً واسعاً، مما جعل من هذه الرواية الصادرة في قائمة الروايات الأكثر مبيعاً في الوطن العربي (التميمي، ٢٠٢١: ٦). يتميز أسلوب أيمن العتوم بالحبكة المميزة وسير الأحداث وتشويقها مما يجعلك مستمتعاً بكل لحظة تقضيها أمام هذا الكتاب، وسترى أنك مستمتعاً أيضاً بالحبكة اللغوية وجودة التراكيب والأساليب، ولقد تعدت بلاغته أسلوبه الروائي، مما جعله مميزاً قلّ ما تجد من هو مثله (الأسمرى، ٢٠٠٥: ٧). طبعت خمس عشرة طبعة، صدرت يناير ٢٠١٩ بالقاهرة، وتضع الرواية القارئ أمام عدة تساؤلات تتعلق بقصة يوسف، ومنها: كيف قضى يوسف ليلاليه في البئر، وكيف تلقى الأب الخبر الذي ألقاه أبنائه على مسمعه بشأن الذئب وغياب يوسف، وغير ذلك من الأسئلة (العتوم، ٢٠١٩: ١٢).

تبدأ القصة حين كان سيدنا يوسف طفلاً صغيراً لأبيه يعقوب بين أخواته من أبيه ويستعرض الكاتب القصور كما ذكرت بالقرآن من خلال الحوارات التي وردت في القرآن في سورة يوسف، وكذلك يجيبنا عن بعض الأسئلة التي قد تدور في ذهن من يعرف بهذه القصة، قصة نبي الله يوسف.

فيحاول الكاتب هنا أن يجيب على بعض الأسئلة منها: كيف كان يقضي الطفل يوسف أيامه ولياليه الباردة والمظلمة في البئر بمفرده؟ وكذلك كيف كان يشعر سيدنا يوسف عندما علم بنية إخوته وعزمهم على قتله؟ وكيف استطاع سيدنا يعقوب أن يصبر لأكثر من أربعين سنة على فراق ابنه؟ وغيرها من الأسئلة الكثيرة (الماضي، ٢٠١٤: ٢٧). تعدّ هذه

الرواية طرح جديد لقصة نبي الله يوسف، وتحمل تفاصيل داهمة تشعل عواطفك مع النبي يوسف بكل حالاته التي مرَّ بها طوال حياته، فتبدأ بيوسف الطفل، ثم يوسف المحبوب، ثم يوسف المحسود، ثم يوسف المغدور، ثم يوسف صاحب الجُب، ثم يوسف السلعة، ثم يوسف الرقيق، ثم يوسف الغلام، ثم يوسف الفاتن، ثم يوسف المراءود، ثم يوسف الأسير، ثم يوسف عزيز مصر، وأخيراً يوسف نبي الله، ولقد أجاد الكاتب أيمن العتوم الوصف والقول، وتوصيل رسالته النبيلة في بعض الحروف كعادته، في حروف تَحْتَّ على إيقاظ اليقين رغم هدهدة وإطالة الزمن على رؤيا الأنبياء، تيقظ يقينٌ عابر للمكان والزمان (العتوم، ٢٠١٩: ١٨).

"تتميز الرواية بتصويرها فعلاً بشرياً، والفعل حدث والحدث هو الفعل الذي تقوم به الشخصية، كما أن الحدث يعبر عن صفات الشخصية وسماتها وهذا يثبت صفة الالتزام بين الحدث والشخصية والطبيعة الفنية للأحداث وتسلسلها تعنى بتمييز الأحداث (الأفعال البشرية) بالحركة والتوتر، والمفارقة والغموض والإثارة لجذب اهتمام القارئ وتشويقه على المتابعة، والكاتب الروائي يختار أحداثاً معينة يرى فيها أنها تؤدي الغرض الذي يصبو إليه ولهذا فإن نوعية الحدث وطبيعته وبناءه وعلاقته، قد تسهم في معرفة رؤيته للفعل البشري والوجود الإنشائي عامة (الماضي، ٢٠١٤: ٢٧).

إذن فالرواية لها ارتباط وثيق بعنصر الشخصية لكونها تحتل مكانة كبيرة فهي التي تؤدي عنصر الحدث وتقوم على أحداثه أو المشاركة فيه، كما أن للأحداث دلالة خفية أو ظاهرة أراد لها الكاتب أن تكون ليتوصل إليها المتلقي. للأحداث في القصة أثر كبير في نجاحها، ولا سيما إذا استطاع الكاتب أن يحتفظ في كل مرحلة من مراحل عرضها، بعنصر التشويق الذي يعد من أهم وسائل إدارة الأحداث فهو الذي يثير اهتمام القارئ ويشده من أول القصة إلى آخرها، فالتشويق وحده يتمكن المؤلف من جعل أسلوبه نابضاً بالحياة منسجماً مع موضوع القصة (المصدر نفسه: ٢٧).

رواية "أنا يوسف" تتناول سيرة النبي يوسف تقوم منذ البداية على حبكة الرؤيا من بدايتها إلى نهايتها. تعتمد قصة يوسف في القرآن الكريم منذ البداية على مادة حلمية ألا وهي الرؤيا، فرؤيا الأنبياء حق، فليست أضغاث أحلام لأنه لا يدخلها شيطان وها هو

يوسف، يرى في المنام أحد عشر كوكباً والشمس والقمر، سجدوا له فقصّها على أبيه في غيبة إخوته.

تتناول هذه الرواية الفريدة من نوعها قصة نبي الله سيدنا يوسف، تتناولها بصورة فنية وأدبية حيث يصوّر لنا الكاتب أحداث متكاملة وتفاصيل مترابطة وقصة لها بداية ونهاية دون الخروج عن نص القرآن الأصلي للقصة، فهذه القصة تمتلك كل مقومات القصة الناجحة من تعدّد شخصياتها وحواراتها الموضوعية، كل هذا بسلاسة وتشويق فريد يدفع القارئ لإكمال القصة إلى النهاية لمعرفة ماذا يحدث، كل هذا بالرغم من معرفتنا جميعاً بنهاية قصة سيدنا يوسف، كل هذا بفضل سحر أسلوب الكاتب أيمن العتوم وقدرته على الوصف، التي تجعلك لا تقرأ القصة فقط بل تعيش معها بكل تفاصيلها.

#### ٤. المكان، ودوره في الرواية:

يحمل الروائي المكان كثيراً من المعاني التي تحدّد مدى الارتباط به من خلال ما يجري فيه من أحداث، وما تشعر به الشخصية اتجاهه ومن خلال عيشها فيه. ولتحديد مدى التواشج مع المكان يذهب غاستون باشلار إلى: "((أنّ المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكاناً لا مبالياً، ذا أبعاد هندسية وحسب، فيه مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكلّ ما للخيال من تحيز، إنّنا ننجذب نحوه لأنّه يكتفّ الوجود في حدود تتسم بالحماية)) (باشلار، ٢٠٠١: ٣١). "فيتمّ إدراك المكان من خلال تحديد المشاعر التي تنبجس في أعماق النفس البشرية وتنحصر في حدود ما يمنحه لها من حماية فيتحقّق بذلك ويكتفّ وجوده الفعلي لا حدوده الهندسية فقط. ويقوم ياسين النصير بتأكيد هذا الكلام بقوله: "((إنّ المكان عندنا شأنه شأن أي عنصر من عناصر البناء الفني، يتحدّد عبر الممارسة الواعية للفنان، فهو ليس بناءً خارجياً مرئياً، ولا حيزاً محدّد المساحة، ولا تركيباً من غرف وأسيجة ونوافذ، بل هو كيان من الفعل المغيّر والمحتوي على تاريخ ما)) (رابعة، ١٩٩٩: ٢٣). "ومن خلال ذلك نجد أنّ المكان كغيره من عناصر البناء يتغيّر من نص لآخر وتبعاً لما يجري فيه من أحداث، حيث يترك أثره في الأعماق لندرك مباشرة مدى تفاعل المكان مع صاحبه.

"وقد اختلف النقاد أيضاً حول التسمية التي تطلق على عنصر المكان، فتعددت بذلك

(Espace) والفراغ (Lieu) المصطلحات الدالة عليه؛ ومن بينها ظهر مصطلح الموقع الذي يتسم بصفة التحديد ويدل على مكان (location) إضافة إلى مصطلح البقعة وقوع الحدث (لورتمان، ٢٠٠٠: ٧٥-٧٦)، إضافة إلى مصطلحي الفضاء والحيز. إلا أن مصطلح المكان كان أكثر شيوعاً بين النقاد وأكثر استعمالاً في الدراسات النقدية العربية على حد قول سيزا قاسم التي استخدمته ((لاتساقه مع لغة النقد العربي)) (المصدر نفسه: ٧٦). ذلك لأنه الأقرب لتحديد هوية العمل الأدبي كما يشكل ((العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض)) (مرشد، ١٩٩٧: ١٢٨)، فهو بمثابة الدعامة التي تمنح النص ترابطه ليظهر كوحدة متماسكة البناء. وقد يعرف المكان الروائي على أنه "المكان اللفظي المتخيل، أي المكان الذي صنعه اللغة انصباعاً لأغراض التخيل الروائي وحاجاته وهو يعني أن أدبية المكان أو شعرية مرتبطة بإمكانات اللغة على التعبير عن المشاعر والتصورات المكانية. أي أن المكان الروائي يتواجد عبر اللغة، وعن طريق آلية الوصف يقترب المكان من القارئ ليتم اكتشافه واكتشاف الجمالية الثابتة خلفه بعد عملية الإدراك ومقارنة التصورات التخيلية والواقعية. وعموماً ((فالمكان سواء كان واقعياً أو خيالياً يبدو مرتبطاً بل مندجاً بالشخصيات كارتباطه واندماجه بالحدث وبجريان الزمن)) (شاهين، ٢٠٠٦: ١٦). حيث نجد المكان على علاقة وثيقة بالشخصيات والحدث والزمن، ذلك لأنه يمثل الأرضية التي تتحرك وتقع فيها تلك العناصر.

أما أهمية المكان فإن التأمل في الأدب العربي، يجده أدباً يعكس حياة الفرد داخل بيئته، كما يعكس علاقته بكل ما حوله في الطبيعة، فهو يتعامل مع الحي والجامد ومع الداخل والخارج، ((فالمكان بعد أن كان عنصراً لا يكثر به أحد، أصبح معبراً عن نفسه وذلك من خلال أشكال معينة، ويتخذ معاني متعددة، فالمكان الحقيقي هو الذي يستطيع فيه الإنسان أن يني ذاته، وإذا ما افتقد ذلك يكون مكاناً هشاً بلا قيمة)) (الحميداوي، ٢٠٠٧: ٢٤٥)، لأن علاقة المكان بالذات علاقة تلازمية تكون إحدهما سبباً للآخرى، فالإنسان يني ذاته من خلال اكتشافه للمكان المناسب والحقيقي، ((كما أن المكان في الأشكال الأدبية الحديثة، كالقصة والرواية مثلاً، يمثل عنصراً هاماً في عملية البناء الفني للأثر، إذ تخترقه الشخصيات، ويصير مع البناء كائناً كغيره من الشخصيات التي تشكل البناء العام للعمل)) (فوغالي، ٢٠٠٨: ١٤٨).

لقد أصبح المكان مؤسس عملية الحكيم بوصفه عنصراً ضرورياً في عملية البناء، حيث تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيء محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيته، إنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح، حيث لا يمكن تصور أي حدث إلا ضمن إطار مكاني معين. (لحميداي، ٢٠٠٧: ١٨٤). ((إذ يحتل المكان أهمية خاصة في تشكيل العالم الروائي ورسم أبعاده ذلك أن المكان مرآة تنعكس على سطحها صورة الشخصيات، وتتكشف من خلالها بعدهاها النفسي والاجتماعي، إنه يسهم في رسمها بمظاهرها الحسية، ولباسها وسلوكها وعلاقتها بسواها، فما أكثر الأحيان التي يتمكن فيها الإطار البيئي المكاني، من تحديد هوية المتسبين إليه)) (صالح، ٢٠٠٩: ١٣٣). ويأتي اهتمام كثير من الروائيين بالمكان انطلاقاً من الاستجابة النفسية له والتواجد في محيطه، إذ أكثر أبعاد المكان حميمة وانتشاراً هو البعد النفسي والمكان الفني باعتباره نسيجاً فنياً، يتخذ حيزه وأبعاده الواقعي من وصف الروائي له يمكن التفريق بينه وبين المكان الواقعي من خلال أن المكان متخيل بناء لغوي فضاء تصنعه اللغة وتقيمه الكلمات انصياعاً لأغراض التخيل وحاجاته. (الضبع، ٢٠١١: ١٧٦).

يؤكد "رولان بورنوف" في سياق حديثه عن أهمية المكان في التكوين الروائي أن المكان بإمكانه أن يصبح محدداً أساسياً للمادة الحكائية وتلاحق الأحداث والحوافز أي أنه يتحول في النهاية إلى مكون روائي جوهري يحدث قطيعة مع مفهومه كديكور بتحوله هذا، يصير عنصراً متحكماً في الوظيفة الحكائية والرمزية للسرد وذلك بفضل بنيته الخاصة والعلائق المترتبة عنها. (بحراوي، ٢٠١٢: ٣٠).

## ٥- أنواع المكان في رواية أنا يوسف:

هناك نوعان من الأماكن في العمل الروائي، هما:

### ٥-١- المكان المفتوح

"الأماكن المفتوحة هي التي تكون مفتوحة عامة أو خاصة، تتجاوز كل محدّد أو مقيد نحو التحرر والاتساع، وتتميز بالطلق والحرية وتقضي بالشعور بالعزلة. وتختلف هذه الأماكن وتظهراتها حسب أحداث النص إذ تتخذ الروايات عموماً أماكن مفتوحة على الطبيعة، وتؤطر بها الأحداث مكانها، وتخضع هذه الأماكن لاختلاف يفرضه الزمن

(٦٣٢) ..... دراسة المكان في روايات أيمن العتوم، رواية (أنا يوسف) نموذجاً

المتحكم في شكلها الهندسي وفي طبيعتها وفي أنواعها، إذ تظهر فضاءات وتختفي أخرى (حبيلة، ٢٠٠٢: ٢٤٤).

وهذه الأماكن خاضعة للطبيعة بشساعتها وطلاقتها، حيث تختلف من منظور إلى آخر، ويتحكم في هذا الاختلاف عنصر الزمن وكذلك شكلها الذي يميز المكان عن غيره، "فالمكان المفتوح هو الذي تلتقي فيه أنواع مختلفة من البشر ويزخر بأشكال متنوعة من الحركة، فهو مساحة مفتوحة التي تحدّها حدود ضيقة (بورايو، ١٩٩٨: ١٤٨).

"والأماكن المفتوحة هي نقيض الأماكن المغلقة فهي مفتوحة على الطبيعة تضم عدداً كبيراً من الأشخاص باختلاف أجسامهم وأعمارهم وبذلك تفتح على العالم الخارجي بكل ما فيه، وتوحي هذه الأماكن بالاتساع والتحرر لأنها تترك للأبطال حرية الذهاب والغياب والسفر، وقد تتيح لبعضهم إمكانية الطواف والجولان أيضاً (متران وآخرون، ١٩٩٤: ٢٣). فإن الفضاءات المفتوحة تتمثل في الأمكنة الشاسعة بادية للعام والخاص، وتكمن هذه الأماكن في الأسواق والشوارع، وتنتمي عادة إلى الأماكن العامة.

"وهذا النمط من الأمكنة دال على الاتساع والانفتاح وذات حركة دائمة وحيوية، حيث تجتمع الأجناس والأفراد في المجتمع أو لعدة مجتمعات، مما يساهم على الكشف عن المقدمات وخصائص تلك الأفراد إلا أنها في بعض الأحيان تحمل الخطر والضيق ويؤدي إلى الفساد.

إن أهمية المكان المفتوح تكمن في أنه متنفس الشخصيات الروائية، وراحتهم والمكان الذي يجدون فيه الأمان والألفة، ووظيفته تنظيم الدرامية ورمي للأحداث. لقد أعطى المكان للبنية الحكائية ميزة وجمالية تهدف لدراسة الجمال المطلق في الطبيعة والتجارب الإنسانية، إن صلة المكان بالشخصية مرتبطة بعلاقة متينة، إذ لا يمكن للروائي أن ينتج عالماً بعيداً عنها، أما عن علاقته بالزمن فهما عنصران لا انفصالان ولا إفهام دون أحدهما، مكمّان لبعض مؤثران في بعض (جسدي، ١٩٩٦: ٢٨).

والمعتاد أن أول ما يخطر على البال عند سماع كلمة "المكان" يستحضر العقل متصورات ذهنية لأماكن واسعة لا تغطيها أسقف ولا تحيط بها جدران. لكن هذا المعتاد قد يختلف بين الأشخاص عامة والروائيين خاصة حسب طريقة التفكير، وزاوية النظر، الطبقة

الاجتماعية، المستوى الثقافي والشعور. فأحياناً تكون حالتنا الداخلية أو نفسيتنا هي المحددة لنوعية المكان الذي نتواجد به؛ تأملنا لأي مكان من حولنا واستطلاعنا الجمالي له ولما يثبه من بهجة حسية داخلنا بالمقابل، يشكل نقطة الفرق في الفصل بين أي من أنواع الأماكن ينتمي إليها. فمن أهمية المكان المفتوح في الرواية أنه بتأثيره العاطفي يلون نفسية الشخصيات داخل الرواية بالألفة التي تساوي قيمة المكان، فتجعل لهم المتنفس الذي يحتمون تحت ظلاله حين الحزن وحين الحنين وبين الحنين (محبك، ١٩٩٦: ٥٥). فالمكان هو الفضاء الذي تجري فيه الأحداث والأزمات والشخصيات فبلغت أهميته في الرواية مبلغها فالمكان يكتسب أهمية من خلال معايشة البطل للأمكنة والأحياء التي تمد له بالصلة، سواء من قريب أو من بعيد، فيكون المكان هو اللوحة النفسية التي عاشها البطل.

تتخذ الروايات في عمومها أماكن مفتوحة على الطبيعة، تؤطر بها الأحداث مكانياً، وتخضع هذه الأماكن لاختلاف يعرض الزمن المتحكم بشكلها الهندسي وبطبيعتها وبأنواعها، إذ تظهر فضاءات وتحتفي أخرى، وبالتالي الأماكن المفتوحة هي مسرح لحركة الشخصيات وتنقلاتهم (حبيلة، ٢٠٠٢: ٢٤٤). وتكتسب الأماكن المفتوحة أبنية بالغة إذ أنها تساعد على الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها (بحراوي، ٢٠١٢: ٧٩)، من خلال ما تمد به الرواية من تفاعلات وعلاقات تنشأ عند تردد الشخصية على هذه الأماكن العامة، التي يرتادها الفرد في أي وقت يشاء (حسين، ٢٠٠٢: ٨٠). فجد أن العتوم، يعرض البعد الاجتماعي في شعره، مظهرًا الثغرات والسلبيات وطبيعة الحياة الواهنة في بعض الدول العربية نتيجة الظروف المؤلمة التي تعرضت لها بعض الدول العربية، ويعكس لنا أيضاً الصورة الاجتماعية الصادقة من خلال حسن التعامل، وتبادل المشاعر، والإحساس الموحد بهمومهم. لا يمكن فهم هذا النوع إلا من خلال مقابله بالمكان المغلق ومميزاته، فالمكان الذي ألفه الإنسان يرفض أن يبقى مغلقاً بشكل دائم، بل يتفرع إلى أمكنة أخرى، ومن بين الأماكن المفتوحة في الرواية نجد في رواية "أنا يوسف" يشير السرد بشكل واضح وجلي في الانتقال المكاني من بيئة بدوية إلى بيئة حضرية، وتشكل مصر في هذه الرواية الحد المكاني الفاصل بين وضعين مكانيين متضادين (البيئة البدوية البيئة المصرية المتطورة (وقد وقعت معظم الحوادث - في الرواية بمصر ففيها بيع يوسف بسوق العبيد للعزير، وفيها كبر واشتد عوده، وفيها وقع بلائه حيث دخل السجن وذاق أنواع

العذاب، وبعدها مكن الله له أن يمسك زمام الأمور بمصر ويكون مستشارها. ومن أهم الأماكن المفتوحة المتواجدة في رواية "أنا يوسف" هي:

#### ٥-١-١- البادية

تمثل البادية مكاناً واسعاً في سير الرواية، إذ صار هذا المكان مسرحاً للكثير من الأحداث التي حدثت داخل الرواية، فالبادية هي المكان الأصلي لسكن النبي يوسف مع أبيه وأخوته، وهي أيضاً مكاناً للرعي يمتلكونها وتحتوي على طرق مختلفة توصلهم إلى أماكن مختلفة منها ذات كثبان رميلية عالية، ونراها في فترة صارت مكاناً لمحاولة قتل النبي يوسف زيادة على القوافل التي تمر بهذه البادية، يقول العتوم: ((ظلّ طول الطريق المؤدية لتلك البادية ينظر إليه، يمسح بيديه على شعر، ينحني ليقبله على جبينه يمازحه، يضحك في وجهه ويعدّ ضحكاته كأنه يريد أن يعيش معها فيما لو حدث أي شيء، يمسك بيده دون سواه، ويتأخر عنهم كلّما تقدّموا كأنما يريد أن يستبقه، لكن لا يدري كيف، أما يوسف فلم تفارقه الابتسامة المعهودة على شفثيه، وكان مبتهجاً كأن الطريق التي بدأت للتو، وراح يمشيها هو وأبوه وإخوته، كأن هذه الطريق ستوصله إلى ما يريد، وكان ينظر في الأفق كأنما يرى ما يريد)) (العتوم، ٢٠١٩: ٦٢-٦٣).

نلاحظ أن هذا المكان وما يحتويه من طرق مختلفة تؤدي بهم إلى عمق تلك البادية التي كانوا يسكنون بها زيادة على اصطحاب والدهم إليها، حيث أصبحت تلك الطرق هي الممر الوحيد لإبعاد يوسف عن أبيه، حيث كان يوسف يسير في هذا الطريق المعدم المجهول المصير والابتسامة لا تفارق شفثيه أبداً، حيث بدأ يتذكّر بأن أباه كان يمسح على شعره عنده الذهاب بها واللعب مع إخوته، وبعد هذا كلّهُ تحولت هذه البادية هي مكان لضياح النبي يوسف وابتعاده عن أبيه حيث ألقاه أخوته في جب عميق في تلك البادية حتى مرت تلك القافلة وأخذوه مقيداً إلى أرض مصر، بعدما باعه إخوته.

في حين نرى في المقطع الآتي عودة الإخوة إلى البادية مرة أخرى للبحث عن أخيهم بعدما ألقوه في البئر، يقول العتوم: ((وأراد روبييل أن يعود إلى البادية، إلى بئر أخيه، لعل أخاه ما زال حياً هناك، لعله لم يمت، لعله يحتاج شيئاً، وخاف أن يكون - إن فعل - قد فقد أباه وأخاه الصغير، وفضل أن يظلّ ليتبين الأمر، وكان تائهاً. ممزّق الشعور، تشتجر في

أعماقه آلاف الرّماح، وأحسّ أنّ طعناته لا يمكن حصرها، ولا يمكن أن يوقف نزيفها، وفكّر أن ينام، ولكن هل ينام ذوهم، وحولّ رجله الذاهبتين إلى غرفته، فذهب خارج الحيّ، واختار شجرة قصيّة ليجلس تحتها، أسند جذعه إلى جذعها، وراح يكي بصمت، وفكّر في كلّ ما جرى من صباح هذا اليوم إلى هذه الساعة من الليل فنمت أشجار البؤس في روحه، وهم بأن يذهب إلى أبيه، وهمس في أذنه بالحقيقة، لكن صوّر إخوته يهوذا ولاوي وشمعون انتصبت أمام خياله، ورأى مناخيرهم تنفث بالنار، وعيونهم تقدح بالشرر، (فراجع) (المصدر نفسه: ٩٩).

في هذا المقطع تحول المكان إلى مسرح لقتل ورمي النبي يوسف في الجب، حيث صارت البادية حاملة لذلك المكان الذي أصبح ملاذاً له بعد ضربه ومحاولة قتله، فاجتماع الإخوة على رميه في البئر، ليكون هذا المكان بعيداً عن ناظر الكنعانيين وخصوصاً النبي يعقوب، زيادة على أنّ هذه البادية هي منطقة متعرجة ذات جبال متفاوتة العلو وكثرة وديانها غير أنّها خالية من المياه، ممّا حدا بالإخوة بالسير نحو تلك البئر العميقة البعيدة الموقع، ومالحة المياه، وبعيدة عن طرق السيارة فصار الاختيار على الرمي بها. فكأنّ البادية كان المكان الأول التي بدأت به أول أحداث هذه الرواية، فهي مكان واسع ويحتمل الكثير من الأمور التي من شأنها أن تحدث لبطل الرواية، فكانت نقطة تحول في حياة النبي يوسف حيث انتقل من مكان صحراوي إلى مكان متمدن أكثر حضارة من البادية، وعلى هذه يمكننا أن نقول إنّ البادية مكاناً أساسياً من الأماكن المفتوحة التي وردت داخل الرواية الكبيرة، وأحسن الكاتب كثيراً في توظيفه في هذين النصين.

#### ٥-١-٢- سوق العبيد

لقد كان السوق الذي بيع فيه يوسف لعزير مصر تحول إلى نقطة فاصلة بينه وبين بيت العزيز، فكانت المنافسة للظفر بيوسف حاضرة في المزاد الذي أقيم، فتعالت الأصوات وتنافس ذوو الجاه والمال حتى انتهى به المطاف ملكاً لعزير مصر، يقول العتوم: ((من قصد السوق فالسوق من هنا، وقال ليوسف دوننا النيل، وقصداه طرق بأيّ غرفته أحد الأصدقاء القدامى، طلب منه أن يرافقه إلى الخارج قليلاً، سمعت أن لديك كنز، ماذا تعني؟ الغلام العبراني، وما شأنك به؟، غداً سوق العبيد الأكبر في مصر كلّها، وغداً سيزور السوق قطفير

عزيز مصر، وسيدفع أموالاً طائلة في العبيد الذين يعجبونه، وليس لدي أدنى شك أن غلامك العبراني سيعجبه... ستربح به، ستربح الكثير وسينتهي بك أمر المسير بالقوافل. وسترتاح ستشتري بيتاً هنا على النيل، وعبداً وخداماً وجواري لا حصر لهن ينسبك الدنيا وشقاء العشرين عاماً)) (المصدر نفسه: ١٤٦).

ونرى هنا أن الحوار الدائر بين مالك وصديقه القديم كي يحرّضه على النزول إلى هذا السوق الكبير كي يبيع يوسف ليكون تجارة مربحة له، وهذا ما لمسناه من الحوار، فصور له الحال الذي سيصل إليها بعد بيعه بأن سيشتري أضخم البيوت في مصر المطلة على النيل، ويعيش حياة الملوك الذي تكثر في بيوتهم الجواري والخدم، وخصوصاً أن الذي سيزور هذا السوق هو رجل كثير الأموال وهو عزيز مصر، وأن الغلام العبراني سيعجبه بالتأكيد.

وبعد هذا يسمع يوسف كلامهم، فينتقل الحوار بينه وبين مالك، يقول العتوم: ((وعاد مالك إلى غرفته، وتلقاه يوسف وهو مستلق على حشية مهملة في الزاوية في الأرض، بكم ستبيعي؟ تعلم مالك، وشجّه يوسف، هيا بكم ستبيعي؟ لا أدري، غداً أعيان مصر في السوق وكبار تجارهم فلا تكن أحرق، ورجف وارتعشت أصابع يديه، وسلك الغضب طريقاً إلى شفتيه)) (المصدر نفسه: ١٤٨).

وبعد هذا الكلام الذي دار بينهما وعن الكيفية التي أخبره يوسف بها كي يبيعه ويحقق أموالاً باهظة، مضى به إلى تلك السوق الكبيرة، وبدأ التنافس عليه كي يظفروا به فكلّ يزيد على مبلغ صاحبه، ولكن مالك يرفض أن يبيع بثمن قليل حتى تقدّم موكب كبير بين الحشود المحتدم بذلك المكان وإذا هو موكب عزيز مصر، يقول: ((تقدّم موكب من بعيد، إنه موكب قفطير صاح تاجر وهتف غيره: سنشتري بثمن عالٍ نحن لا نقدر على المنافسة، وتحدي آخرون: سننافس إن كان عزيز مصر فنحن أعيانها وإن كان وزيرها الأول فنحن أشرافها وإن كان ذا مال فإننا ذوو أموال كذلك وصاح أحد هؤلاء المنافسين: أدفع خمسة آلاف دينار فضة، هتف مالك: مرحى مرحى... كنت سأبدأ بهذا الرقم وانسحب مزيد من التجار وقال قفطير لمساعدته: ستتحدث أنت، زد ألفاً على كل رقم يقال وانتظر الإشارة بالموافقة من رمشة عيني وهتف مساعدته وهو يهبط من العربة الفرعونية المذهبة: سيدي عزيز مصر يدفع ستة آلاف دينار ذهبية، وأصيب مالك بشهقة من الفرح عندما سمع واقترب يوسف من مالك قال له:

انظر إلى عربته، إنها من الذهب الخالص)) (المصدر نفسه: ١٥٠-١٥١).

في هذا المقطع من الرواية نلاحظ تركيز الراوي على الموقف الذي عرض به الفتى العبراني في سوق النخاسة، وعدد المتنافسين للظفر به، وكميات الأموال التي أغدقت ودفعت من أجل الحصول عليه، غير أن مالكة كان طامعاً بقيمة أكبر، وخلال هذه الوقفة السريعة وإذا بموكب رئيس أشراف مصر يدخل إلى ساحة الصراع من أجل الحصول على هذا الفتى، مما جعله يدفع السعر الأكبر كي يحصل عليه، وإن مقدار المال الذي دفعه جعل صاحبه مالك بن زعر يُصاب بالدهشة والذهول نتيجة حصوله على المال الكثير، علماً أن يوسف قد أخبره مسبقاً بأنه سيحصل على مال كثير، كما أخبره صاحبه قبل الدخول إلى هذا السوق الكبير.

#### ٥-١-٣- نهر النيل

نشاهد أن نهر النيل العظيم كان حاضراً ومتجسداً في الرواية حاضراً بقدسيته، يقول العتوم: ((وحمل الملك صواعه، كأسه الفضية الكبيرة التي يشرب فيها الماء من منبع النيل، المنبع المقدس، وكان الماء يأتيه من ذلك المكان البعيد صافياً رقيقاً، فيُسكب له في هذا الصواع، ويشرب منه أسبوعاً، فإذا أفرغ الماء أتوه من المنبع ذاته بماء جديد، وفي تلك الليلة حمل الملك الصواع الفضي بيده وطاف به الرهبان بنفسه، وسقاهم واحداً واحداً: اشربوا ماء الحياة المقدس، الماء الذي خاضت فيه أسلافنا الطاهرين ممن عرفوا أن من يدير هذا الكون واحد)) (المصدر نفسه: ٢٢٢-٢٢٣).

نرى في هذا المقطع من الرواية التركيز على نهر النيل وما يحمل من عذوبة المياه التي من شأنها أن تنظف الملك من دنس الشرك بعدما آمن برب يوسف، فمثل هذا المكان "النهر" نقطة تحول داخل الرواية لأنه أصبح علامة فارقة في حياة الملك، ثم أن هذا المكان "النهر" يمثل مركزاً أساسياً داخل أرض مصر تعول عليه في ري أراضيها بعدما أصابها القحط.

#### ٥-١-٤- الفيوم

من الأماكن المفتوحة التي وردت في الرواية، وقد أوردتها العتوم في موضع وأعطى صفات هذا المكان، فقال: ((واختلى يوسف بنفسه، ونأى بها عن الناس، إنما تعلم من اعتكف، وينجز من اعتزل، ويسمو من سما عن لغط الحديث وسفاسفه، وكان يستأذن

قفطير، في أن يخرج الفيوم، أرض مهيع، وهواء طيب، وخضرة طافحة، بعيد عن الخدم والحشم، والقناديل والشموع، والنساء والولدان، ليخلو إلى ربه، ويتخلص مما ران على قلبه مما رأى في القصر، فكلُّ ما في القصر يخبث النفس، ولا بدّ لهذه من مصفاة، ولا أصفى من مناجاة الله)) (المصدر نفسه: ١٨١).

حيث مثل هذا المكان هو متنفس جديد يذهب له النبي يوسف للتخلص من الشرور التي تحيط به داخل قصر العزيز، في حين نرى أن الكاتب ركّز على إعطاء توصيف كامل لهذا المكان "الفيوم"، فهو واسع الأرض، عذب الهواء، يحتوي على مساحات خضراء كثيراً ما تأوي إليه الحيوانات الأليفة التي كان يوسف يخرج مع قفطير لاصطيادها، فهو مكان خالٍ من العبيد والخدم، ذو ضوء طبيعي لا قناديل ولا شموع تضيئه وإنما يضاء من قبل السماء في النهار.

حيث أن هذا المكان اتخذ يوسف في بعض الأحيان مكان العبادة حيث يكون أهدأ من ضجيج النساء والعبيد، إذ يخلو مع ربه تعالى، ليتخلص مما يحدث له داخل القصر، فتخيّل أن هذا المكان هو طريق نجاة بالنسبة له، فبعض الأماكن ومنها بيت العزيز أصبحت تشكّل خطراً على حياة النبي يوسف. فهذا المقطع يصوّر لنا الحياة التي يعيشها يوسف في هذا المكان في تعبده وتضرّعه لله أثناء خلوه في أرض الفيوم، ففيها يرجع يوسف لنفسه ولربه بعد أن يسكن كل شيء فيجد فرصة للمناجاة والدعاء والتقرب لله تعالى حقّ التقرب فيكون وقته مستثمر بحكمة بالغة ومنشغل بما هو أولى به.

أما في المقطع الآتي يقدم الكاتب صورة للطرق التي تؤدي إلى هذا المكان/مكان الانتقال، فيقول: ((الطرق تؤدي إلى الغابات يا يوسف، فإذا سلكت طريق النفس وصلت إلى نفسك، وإذا سلكت طريق الناس وصلت إلى الناس، وإذا سلكت طريق الشيطان وصلت إلى الشيطان، وإذا سلكت طريق الله وجدت الله، فكيف الطريق إلى الله؟ سرّ ولا تلتفت. إن الطريق لبعيدة، إنها لقريبة لعلّ من أراد، فما أجد فيها، في الطريق للسالك مشقة، ولكن التكبّ عن الطريق أشقّ، وفي الطريق المرید تعب، ولكن الوصول له لذة، وفي الطريق لمحبة وجع، ولكن حبّ الراحة أوجع)) (المصدر نفسه: ١٨١).

ففي هذا المكان صوّر النبي يوسف عندما خلا مع ربه في مناجاته، أن هناك طرق

مختلفة في هذه الحياة فإن أردت الوصول إلى نفسك فعليك سلوك طريق لها، في حين رأى أن طريق الله تعالى أين شخص يخلص لله تعالى فإن الولوج به سهل جداً وقريب المنال، فهكذا نرى أن هذا المكان أصبح طريقاً للوصول إلى الله تعالى.

#### ٥-١-٥- الجبل

يعدّ الجبل همزة وصل وجسر عبور بين النبي يوسف وربّه، فالجبل هو المكان الذي يتقابل به ما هو إلهي وإنساني، فيعتبر الجبل من أهمّ الأمكنة التي لجأ لها النبي يوسف لمناجاة ربّه والوصول إلى الحقائق المطلقة، عن طريق التأمل والتدبّر. فقد شكّل فضاء الجبل في هذه الرواية مكاناً مهماً بناءً على ما حدث مع يوسف هناك مع تجليات ومشاهدات فالتجلي هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيب ورفع الحجب للكشف عما هو مستور، والمشاهدة هي رؤية حقّ اليقين لتلك الحقائق، فيتنبّو القلب وتدرك المعاني المتمثلة للحقائق، يقول العتوم: ((ثمّ رفع رأسه إلى السماء يراقب الأفق البعيد، نمل الأصوات سكن لفترة من الوقت، ثم بدأ يتحرك من جديد، لم يشغل باله كثيراً، أكثر ما يهّمه الأفق، أن يرى شيئاً، إنّه لا يحبّ كلّ هذه السّواد الذي يغطّي كلّ شيء، السّواد الطّاغي يشعره بانقباض في صدره. فجأة رأى نوراً يتّجه من موضعه إلى الأفق، استغرب أن يكون هو مصدر النور، نظر إلى نفسه فرأى ذلك النور ينبثق من قلبه، فرح، اتسع النور في السماء، صار يتحرك، وقف في أقصى الأفق من جهة اليمين، كشف له عن كوكب دري، كان كبيراً، واضحاً غير منكر، وجليلاً لا تخطئه العيون، وشديد التوهج حتى لكأنه لهيب، ابتسم في أعماقه، نور قلبه يضيء العتات ويكشف المخبات)) (المصدر نفسه: ١٧-١٨).

ففي هذه المقطع تحقق الظهور النوراني للذات الالهية في هذا المكان التي تجلّت ليوسف وانبثقت إلى قلبه وهو على قمة الجبل، فيقول العتوم ((راح النور ينتقل إلى اليسار، ماسحاً سواد السماء، وقف عند كوكب آخر، أصغر بقليل من صاحبه، يطوف حول مركزه بنشاط بين، ابتسم له من جديد، مدّ يده، ظنّ أنّه يمكن أن تصل إليه، لكن صوتاً عاوياً ظهر من جديد، فأعاد يده إلى موضعها، وهكذا ظلّ النور الصادر من قلبه أن يكشف في كلّ مرة كوكباً أصغر من سابقه)) (المصدر نفسه: ١٨).

هذا المكان (الجبل) أصبح ممثلاً سيميولوجياً بدلالات روحية وأكثر إيحاءاً للحس

الشعوري بهذا المكان، وتمثيلاً لتجربته المكانية.

## ٥-٢- المكان المغلق:

"إضافة إلى الأماكن المفتوحة نجد المغلقة، وتعد ضمن الفضاءات الأساسية في الروايات وذلك لانعزالها وانغلاقها على العالم الخارجي، وتكون محاطة بأشكال هندسية متنوعة محدودة، ويكتسب المكان وجوداً من خلال أبعاده الهندسية والوظيفية التي يقوم بها، فإذا كانت الفضاءات المفتوحة امتداداً للفضاء الكوني الطبيعي، مع تغير ما تفرضه حاجة الإنسان المرتبطة بعصره فإن الحاجة ذاتها تربط الإنسان بفضاءات أخرى يسكن بعضها، ويستخدم بعضها في مرأب متنوعة فالبيت مسكن يحميه من الطبيعة، والمستشفى مكان للعلاج، والسجن قيد يسلب حريته (متران وآخرون، ١٩٩٤: ٢٣). وهذه الفضاءات ينتقل بينها الإنسان ويشكلها حسب أفكاره، والشكل الهندسي الذي يروقه ويناسب تطور عصره وينهض الفضاء المغلق نقيض للفضاء المفتوح (حبيلة، ٢٠٠٢: ٢٠٤).

"ومختلف هذه الفضاءات تحمل دلالات مختلفة، حيث تعبر عن الضغط وتتخذ خصوصيات متنوعة في مختلف الأعمال السردية، وهذه الفضاءات المحدودة والمغلقة والمنعزلة يعبر كل منها عن ركن معين ذات دلالات معينة. ((إن هذه التقسيمات التي عرفها المكان في الأعمال الأدبية السردية راجعة إلى جهود كتاب متعددين ونقاد، جعلوا منها تمييزاً عن غيرها من العناصر الأخرى، وخصائصها وجمالياتها حيث تسمح بقوة المثل الحكائي، ويضفي جماليته الفنية، وهذه التقسيمات تعددت حسب دراستها سهلت عملية التمييز بين العناصر التي ينتمي إليها النص الروائي. فالمكان كعنصر بنائي فعال يساهم في تشييد الرواية، وضرورة الكشف والمعرفة على أساسيتها، وما يميزها عن الآخرين، وذلك ما عرضته مختلف الأبحاث والدراسات حول جماليات المكان وخصوصياته)) (بحراوي، ٢٠١٢، ١٥٢). فالأمكنة المغلقة في غالب الأحيان أماكن للإقامة. و((أماكن الإقامة، أماكن ثابتة ومريحة تحمي الفرد من العوامل الخارجية، إلا أن هذه الأماكن تختلف تصرفات وتوضعات الأفراد حيث أن هناك أماكن اختيارية وأخرى إجبارية باستطاعتنا أن نعثر ضمن أماكن الإقامة على تقاطب جديد بين أماكن الإقامة الاختيارية وأماكن الإقامة الإجبارية، المنزل مقابل السجن)) (المصدر نفسه: ٤٠). ((الأماكن الاختيارية تنصرف فيها

الشخصية كما تشاء، وتكون تحت سيطرتها ويميزها عن غيره في النوع والشكل واللون، ويكون سيدها؛ عكس الإجبارية التي تكون تحت سيطرة الغير، ويكون فيه مقيداً وخاضعاً وهذا ما جعلها تتميز عن بعضها البعض فالسجن كمؤسسة للعقاب والمراقبة والتدمير)) (النجمي، ١٩٩٥: ١٤٧). أما ((البيت هو ركننا في العالم)) (باشلار، ٢٠٠١: ٣٠)، أي أن البيت هو العنصر الأساسي والضروري الوحيد الذي يضمن حياة الإنسان وسيورته على الوضع الذي يختاره هو، ويحقق فيه أحلامه ورغباته، وذلك بكل حرية، ويتصرف كما يشاء، فهذا المكان الأليف يضمن حياة الإنسان رغم أنه مغلق ومحدود إلا أنه يعد مفتوحاً بالنسبة للإنسان حيث يكون فيه طليقاً عكس السجن الذي يمثل الانغلاق والانعزال عن الأفراد والحياة الحرة، ففيه تسلب حقوق الأفراد، كما يحصل في طياته نوع من التشاؤم والإكراه، ويكون تحت سيطرة الغير والمراقبة المستمرة والحرمان، وهذا ما يميز الأماكن الاختيارية عن الإجبارية.

تتصف هذه الأماكن بالمحدودية، بحيث إن الفعل لا يتجاوز الإطار المحدد كالبيت والغرفة، وتتميز هذه الأماكن بمميزات قد تكون إيجابية مثل "الألفة والأمان"، كما قد تكون مميزات سلبية معاكسة للسابقة، مثل "الخوف، الوحدة" فهذا المكان محدد بمحدود تفصله عن الخارج مما يجعله يتصف بالضيق، فتكون بذلك حركة الشخصيات محدودة بما يسمح من ممارسة لخصوصيتها، إضافة إلى ما قد يمنح لها من حماية وألفة.

وستتبع في ترتيبنا لهذه الأماكن، وذلك بتقديم الأماكن التي تم اختراقها من طرف البطل المتماهي مع الراوي الذي يقوم الروائي بعملية السرد والوصف عن طريق حاسة البصر، ثم تقديم الأماكن من طرف البطل أو غيره من الشخصيات عن طريق حاسة السمع من خلال ما نقل من أخبار وما يحدث فيها.

ومن أهم الأماكن المغلقة التي ظهرت بصورة جلية في رواية "أنا يوسف" هي:

٥-٢-١- بيت يعقوب:

هو مكان ظاهر كان متجلياً في كل الرواية، وفيه نشأ يوسف وهو مكان قداسي فهو بيت النبوة يجمع بين النبي الأب: يعقوب والنبي الابن: يوسف وذلك ما أفاض على المكان

شعائرية ونوراً سماوياً لأنه مركز إشعاع لرسالة الله في الأرض ويتواجد في أحضان البادية، فرائحة الخبز التي كانت تطفئ في الأفران، والحقول، ورعي الأغنام، والذئاب المنتشرة، وهدوء الليل وأكوخ القاطنين كلها دلالات لها علاقة بالبادية.

ففي هذا البيت المبارك بدأت إشارات النبوة تظهر فيه، يقول العتوم: ((نظر يوسف في الأفق، كان ليلاً، دهش وهو يرى صفحة السماء بلا نجوم، ليس بها ما يخفف ولو قليلاً من الظلام الجارح العتمة تلقي بسربالها عليها فتبدو حالكة السواد، تساءل "أين ذهب النجوم" فكر فيما إذا أنطفأ نورها، أو سقط خلف القبة السماوية، أو غاصت في سجفات الأفق. تناهى إلى سمعه في هذا الظلام أصوات عاوية تأتي من أسفل الجبل وتصدع اتجاهه، ولم يهتم كثيراً، لكنه انزعج من أن تقطع عليه هدوءه)) (العتوم، ٢٠١٩: ١٧).

وهنا نلاحظ الحياة البدوية وحياة البادية التي يظهر يوسف أنه عايش في هذا البيت في تلك البادية والصحراء التي غالباً ما هادئة غير أن الليل في هذه المناطق صافياً تلمع نجوم سمائه فكان النبي يوسف يترقب نجوم السماء غير أنه يتراءى له أن هذه النجوم قد اختفت فجأة وظهرت في هذا المنطق أصوات الذئاب الضواري التي تحاول أكل الأغنام التي كانت لديهم وخصوصاً في النهار عند رعيها في حقول الزراعة التي يمتلكوها لهم غير أن هذه أصوات الذئاب بدت مقلقة له.

في حين نراه في موضع آخر من الرواية يصور لنا بيت يعقوب في تلك البادية، حيث أن يعقوب يصطحب النبي يوسف عند خروجه للبادية كي يتعود على الحياة البدوية، يقول: ((ظل طوال الطريق المؤدية إلى البادية ينظر إليه، يمسح بيديه على شعره، ينحني ليقبله على جبينه، يمازحه، يضحك في وجهه ويعد ضحكاته كأنه يريد أن يعيش معها فيما لو حدث أي شيء، يمسك بيده دون سواه. ويتأخر عنهم كلما تقدموا كأنما يريد أن يستبقه، لكن لا يدري كيف، أما يوسف فلم تفارق الابتسامة المعهودة شفثيه، وكان متجهاً كأن الطريق بدأت للتو، وراح يمشيها هو وأبوه وإخوته، كأن هذه الطريق ستوصله إلى ما يريد. كان ينظر في الأفق، كأنما يرى ما يريد)) (المصدر نفسه: ٦١-٦٢).

فهذا بيت يعقوب أحد الأماكن المغلقة في الرواية إذ هو في هذه البادية التي كان يوسف يلهو ويلعب مع بقية إخوته، غير أن يعقوب كان كثيراً ما يصحبه إلى أماكن مختلفة

من هذه البادية، فيمسك بيده ليسير معه، ويتعلم منه الكثير من العادات البدوية السائدة في حياة البادية.

#### ٥-٢-٢- الجب / البئر

مكان مغلق منخفض في الأرض ويقع على طريق القوافل التي تبحث عن الماء في مضانة في الآبار، وفي مثل هذا الجب الذي ينزل فيه ماء المطر، ويبقى فترة ويكون في بعض الأحيان جافاً كذلك، وهو مكان هجر إليه سيدنا يوسف هجرة لا إرادية، وكان اختيارياً أجمع عليه الإخوة بعد تشاورهم في كيفية التخلص منه فكان في نظرهم رقعة جغرافية سحيقة، فهو دلالة على العزلة والنفي لأنه مكان مخيف وعميق وموحش ومظلم (عشاب، ٢٠٠٤: ١٣).

ولكن رغم كل هذا كان بالنسبة ليوسف خلوة نبوية ظهرت فيها حكمة الله تعالى في مؤانسته لهذا الغلام الذي نزلت عليه السكينة حتى جاءه الأستاذ - ملاك الوحي - يعلمه الحكمة ويظهر ذلك في الرواية كالاتي ((وجلس التلميذ أمام أستاذه: هل ترى؟. فرد عليه الطفل: في الليل؟... وقال الأستاذ: والطوفان الجارف لم تنج من أمة، ولا نبي، ولا عصر، ولا مكان، لكن الله يصطفي من يشاء. قال الطفل: أنا بلا وطن غريب هنا كأني منقطع عن كل شيء، أحس أنه أغضب الأستاذ بهذه العبارة الأخيرة، ولكن خوفه من ذلك برد مع رد الأستاذ: الوطن أنت، ما يسكنك لا ما تسكنه، قلبك. إيمانك، فكرتك عن الله، يقينك، ضعفك أمام قوته، صبرك أمام محنته، ثباتك أمام طوفان الفتنة وهو يقتلع كل شيء. عقلك الذي لا ينام، فؤادك الذي لا يسهو، أنت، أنت، ألا تنظر إلى نفسك، ألا تفتش عنك فيه)) (العتوم، ٢٠١٩: ١٠١-١٠٢).

ولقد كان هذا الوحي الإلهي داخل الجب كالبلسم على جروح وقلب يوسف فبرغم من انزاله الخارجي إلا أن ارتقائه الروحي خرق هذه الحواجز مما وسع المكانية ويتجلى ذلك من خلال قول العتوم: ((ومضى الثلث الثاني من الليل، وسمع أصواتاً كثيرة، ورأى عوالم أكثر، وانكشف له ستر، وأزيلت عن عينيه حُجب، ونظر إلى ما لم ينظر الخلق، ورأى آيات ربه الكبرى، ودُهِش، إن البشر عميان، لا يرون شيئاً، أين كان كل هذا المستور؟ المحجوب من حجبه الله عنه، الأعمى من عمي عن حقيقته، عن أن يراه في كل شيء، عن أن يحدث

عنه كُلُّ شيء، يا للعظمة، إنَّ ما يراه فوق الأرض، ليس مثل الذي يراه هنا في باطنها، في قلبها، أَيْكون أَلقي في جُبِّ الرُّؤيا، أَتكون هذه الجُبُّ مدرسة؟ إنَّه يرى ما لا يرون، تحرَّكت بُقَعٌ كثيرة صغيرة بحركة وثيدة دائرية في قاع البئر)) (المصدر نفسه: ١٠٣).

فنلحظ من النصوص السابقة أنَّ هذا المكان المغلق "الجُبُّ" أصبح مكان الانطلاق الفكري لتلك الرسالة السماوية التي حملها يوسف لينقذ أهل تلك البلاد التي سيرحل إليها، فكأنَّ الوحي المرسل إليه داخل الجُبُّ أبلغه سيكون عظيماً ذا شأنٍ في غير بلاد المولد، لهذا أخذ الأحداث تتسارع من خلال الحوار الدائر بين النبي يوسف والوحي، لأنَّ النبي يوسف رأى عوالم مختلفة داخل هذا المكان المظلم، ومجموعة من الكواكب تنقاد إليه لتكون تحت وصايته، ثم حدث إن وصلت تلك القافلة السيارة وأرسلوا واردهم، وأخرج مع دلو، ثم شروه ورحلوا به إلى بلد آخر، وهنا بدأ التطبيق الرئيسي للرسالة السماوية التي كلَّف بها.

#### ٥-٢-٣- بيت العزيز

المكان الذي تربى فيه يوسف وشهد فيه عطف وحنان قطفير وقد كان وصفه حاضراً في الرواية بشكل مفصل، فبداية دخول يوسف إلى القصر أصابه الدهول ممَّا رآه، يقول العتوم: ((كان الممر الطويل الذي يصل بين المدخل والساحة ترتفع على جانبيه الأعمدة الحجرية الأسطوانية العالية، وتقدَّمت العربَة وحدها على المدخل، وتوقَّف كلٌّ من كان يرافقها من الموكب، باستثناء بعض الحُرَّس، وبين عمود حجري وآخر كانت تنتشر تماثيل الآلهة، وكان لكل ظاهرةٍ إله، وكانت التماثيل لبشر أو لحيوانات، وبعضها لبشر برؤوس حيوانية، أو لحيوانات برؤوس بشرية. تملأ يوسف المشهد، وأصابه الدهول لارتفاع الأعمدة الشاهقة، خيَّل إليه أنَّها ربَّما تُظامن السحاب، وأخذ المشهد الجديد كلية، وظنَّ أنَّ هذه التماثيل التي تتوسط الأعمدة التي تمتد بشكل لا ترى نهايته قد جلبت للزينة، وأنَّ معرضاً يقام في هذه الساحة لتسليّة العابرين من هذا الدرب، وتساءل: ما حاجة الإنسان إلى كلِّ هذه الأعمدة والتماثيل؟)) (المصدر نفسه: ١٥٤-١٥٥).

نلحظ في هذا المقطع ظهر نوع آخر من المكان المفتوح من ناحية الحياة، فانتقال يوسف إلى بيت العزيز يعني انتقاله من الحياة البدوية في البادية في ديار كتعان إلى الحياة الحضرية في

قصور الأشراف، وهذا من جهة، ومن جهة أخرى ذهول النبي يوسف من مشاهدة المناظر الطبيعية والأعمدة المعدنية والتماثيل البشرية والحيوانية، حتى ظنَّ للولبة الأولى أنها معارض فنية تعرض ليسرَّ المارين بهذا الطريق الطويل للتمتع بالنظر إليها، وبعد تساؤله عند حاجتهم لها، اتضح له أنها آلهة يعبدونها، فبدأ العمل النبوي في نفسه بالظهور لكي يتيسر له الأمر لمحاربة هذه العقائد الزائدة والدعوة إلى عبادة الله تعالى، يقول: ((وسأله يوسف: ما هذه التماثيل؟، فأجابه: آلهة. تعبدونها؟، بالطبع، أنتم تمتلكون فائضاً من الآلهة إذا. لم يفهم قطفير مقصد يوسف وإن شعر أنه انزعج من عبارته الأخيرة. عبروا بهواً واسعاً تنتشر على جانبيه وعلى سقفه نقوش بهيجة الألوان برأقة)) (المصدر نفسه: ١٥٥).

فبيت العزيز ومع مرور الزمن تكشف لنا الرواية عن تغلب الطبع الغريزي للمرأة المنحرفة على تحكيم عقلها، فبرغم من مكانتها الاجتماعية الرفيعة تتمنى أن تقيم علاقة مع شاب بسيط، عبد ضعيف، ولكن جمال يوسف وحسنه الذي صرح به الراوي أعمى بصيرتها وأفقدتها توازنها، فلما استعصى عليها أدخلته السجن بموافقة زوجها، يقول: ((كانت زليخة تكتشف في كل مرة هذا الجسد، وتهيم في تفاصيله، وتغرق في ثناياه، وتفكُّ مغاليقه، تزيل الستار كلما سنحت لها الفرصة عن سرٍّ من أسرارهِ التي لا تنتهي... وقال له زليخة: أنا في ظلام كثيف، فردَّ عليها: أفي هذا القصر؟، إنه في أشدَّ ظلمةً مما تتصوَّر، ولكل ظلام نور، ولكل ليل قمر، فأطلعني قمرُك الذي يتبدَّد ظلامك، فقالت بلهفة: أنت قمري. فردَّ: كلنا لله، فتخابثت: التركة إذا وزَّعت بين المقتسمين أفقرت، لا شراكة في تركة. أنت لي، فقال: أنا لست تركة، فأصرتُ أنت لي، فقال لها: إنما يخدع البريق عطاش القلوب، فردت: لا أعطش من قلبي. فقال: لا ما يروي عطش القلب كاليقين. فهاجت: أي يقين كائن في حضرتك، فأطرق: السيد لا يرى العبد، فرفعت رأسه برفق إليها وهي تتلمَّس وجهه المخملي، وتطيل النظر في عينيه: إذا لم ير السيد العبدَ فمن يراه إذا؟)) (المصدر نفسه: ١٧٩-١٨٠).

وهنا داخل هذا المكان إذ بدأت زوجة الحاكم تضيق الخناق على النبي يوسف وبدأت تلمح له بإعجابها به وتحاول استمالة قلبه نحوها، لذلك أصبحت تمنع النظر في جسم وملامح وجهه، وبدأ يشغفها حباً يوماً بعد يوم، ممَّا جعلها تخاطبه بالفاظ تستدر قلبه إليها،

غير أنه كان رافضاً لكل الأساليب التي من شأنها أن توقعه في حبال الشيطان، فهذا التحول المكاني والأحداث المتتابعة في هذا المكان بدأ يوسف بالتهرب منه ومحاولاً الحصول على مكان آخر.

ثم يحدث في هذا المكان أيضاً أمر المراودة من امرأة العزيز ليوسف على نفسها، غير أنه يرفض رفضاً شديداً كونه نبياً مرسلًا، فدعت إلى غرفتها ذات الأبواب السبع على الممر الرئيسي لها حتى وصل لآخر الممر حيث غلقت الأبواب كلها، وهتفت له "هيت لك" كي يمكنها، يقول العتوم: ((هتفت، هذا السرير لنا، هذا الترف لنا، هذه العطور لنا، هذه الزرابي لنا، هذه الأكواب والأقداح والأطعمة والأشربة كلها لنا، وأنا أنتظر منذ عشرة أعوام، وانتظرت هذه اللحظة عمري كله، وتغنجب في مشيتها، ومضت إلى السرير، وألقت بنفسها عليه، وكشفت ساقها، وقالت: هيت لك، فلم يتحرك يوسف من مكانه كأنه تمثال، خفض بصره، وهتف: استري يا امرأة، وغنجت: وهل يكون بين الحبيين ستر؟، أنا لست حببيك، ولكنك حببي، ثم كشفت عن صدرها، وتقلبت قبل أنت تهتف: حللت لك ثيابي، ولم أفعل ذلك لأحد قبلك وإذا كنت تخشى سيدك فقد خرج إلى الصيد ولن يعود قبل غد، وإنني صرفت كل من في القصر، فهيأ... هتف: معاذ الله، أرتكب فاحشة مع امرأة سيد أحسن إلى)) (المصدر نفسه: ١٨٦-١٨٧).

هكذا نرى تحول هذا المكان "بيت العزيز" إلى أشبه بالسجن بالنسبة إلى النبي يوسف بسبب مضايقة امرأة العزيز له، وهذا ما نلمحه في النص السابقة إذ نراها دعت إلى غرفتها الخاصة وهيأت كل الملذات كي تظفر به ويمكنها من نفسه بحيث خلعت كل الأستار والثياب التي كانت على جسدها، غير أن النبي يوسف كان رافضاً هذا الفعل القبيح جملةً وتفصيلاً، إذ خاطبها كيف يمكن له خيانة رجل أحسن إليه كثيراً طوال فترة وجوده داخل هذا البيت، إلا أن زليخة تخبره بأن سيده خرج إلى رحلة صيد ولا يمكن العودة إلى القصر قبل طلوع يوم غد، فأجابها يوسف أنه مكتوب في السماء من النبين ومعاذ الله أن يتركب هذه الفاحشة، غير أنه تخبره بأنه عبد عندها وعليه إطاعتها، وهو هدية جيء به إليها، فلم يكن أمامه إلا تمكينها من نفسه، وبقي مصرّاً على موقفه، وأوضح لها أن عمله هذا لا يمكن لأحد أن يحجبه عن ناظري الله تعالى.

ثم نرى في هذا المكان أيضاً الدور الذي قام به يوسف للتخلص من شرائكها، حيث هرب تجاه هذه الأبواب السبعة التي استطاع أن يفتحها بكل ما أوتي من قوة وهي بدأت السعي وراءه لكي تنال مرادها، يقول العتوم: ((وعبر الأبواب كلها، حتى عاد إلى الباب الأول استعصى الباب على يوسف، كانت مزاليجه فولاذية متداخلة تداخلاً صميماً، فشدّ عليه بذراعه، واستجمع كل ما فيه من قوة لطول دربته في ميادين النزال، ولكنه لم يفتح، لقد أغلق من الخارج، ولن يستطيع فتحه من هذه الجهة، وكانت زليخة قد قاربت أن تصل إليه، فلما رآته يقف عاجزاً لاهثاً أمام الباب المحكم، فرحت وأدركها أنها إن لم تقض منه وطرها فعلى الأقل تستعيد شيء من كرامتها)) (المصدر نفسه: ١٩٠).

وهكذا بدا يوسف راكضاً نحو هذه الأبواب ليتخلص منها وهي تسير خلفه كي تطفئ شيئاً من نار حقدتها الظغين عليه، فلما عجز من فتح الباب الأخير المؤدي إلى الممر الرئيسي داخل البيت، بدت ملامح الفرحة تظهر عليها كي تستعيد شيئاً من كرامتها، غير أن المفاجأة حدثت عندما فتح النبي يوسف الباب وإذا بالعزیز أمامه، يقول العتوم: ((وانفتح الباب من الخارج دون عناء، وبرز في فتحة الباب وجه العزیز، ووقعت عيناه عليهما يلهثان، وسألت زليخة نفسها في لهاثها: اللعنة عليك؛ كان عليك أن تعود غداً، واتسعت حدقتا العزیز وهو يحد النظر نحوها، وقد تطاير منهما الشرر، وأراد أن يسأل، وأن يقول كلاماً كثيراً، لكنه لكثرت تراحم فوق لسانه، فلم يقدر على أن يخرج حرفاً واحداً، وابتعلت زليخة الصدمة أسرع من حبیبها، وحركت رأسها ذات اليمين وذات الشمال لكي تسمح للكلمات أن تخرج موزونة... أيها العزیز، زوجي العزیز، أترى هذا العبد، أنه عبد سوء، كل هذه السنوات من الإحسان والإكرام لم تثمر فيه شيئاً... خرجت حروفها مع دموعها، هذا العبد راودني عن نفسي، راود سيدة مصر عن نفسها، تخيل يا حبيبي)) (المصدر نفسه: ١٩١).

وفي نهاية الأمر يمكننا أن نقول أن النبي يوسف بعد انتقاله من بيت أبيه يعقوب من الحياة البدوية إلى الحياة الحضرية بيت العزیز، في بداية الأمر كان بيت العزیز من أحب الأماكن له، غير أن هذا المكان تحول إلى ما يكون أشبه بالسجن، لكثرة الأحداث التي حدثت عليه فيه، فهذا التحول في الأحداث داخل هذا المكان لذا نراه أخذ متسعاً كبيراً في أماكن الرواية.

## ٥-٢-٤- السجن

يمثل السجن المكان المغلق الثاني الذي لجأ إليه النبي يوسف هروباً من نساء تلك المدينة اللواتي أردن به سوء، وسرعان ما أعلن نبوته داخل هذا السجن، لذا السجن أحب إلى يوسف مما تعرض له من غواية من طرف زليخة والنسوة، بالرغم من وحشة المكان وفقره من الأسرة والفرش والأغطية والثياب باستثناء كميات من الحشائش ملقاة بإهمال هنا وهناك يجمعهما السجين إذا أراد أن ينام عليها ويجعل منها فراشه وفي البهو مصاطب صغيرة من الحجر ترتفع عن أرضية البهو قليلاً يجلس إليها بعض المساجين إذا أرادوا الحديث، أو ينام عليها آخرون ويتحرك في هذا البهو عشرات المساجين حركات عشوائية، يقول العتوم: ((لم يكن السجن الذي أُلقي فيه يوسف سجنًا عاديًا، كان قبوًا، لا نوافذ لا شمس، ظلمته دائمة، إلا من نور شحيح يأتي من كوة صغيرة على الأطراف تضئ بها فيها أسرجة قديمة، قد غطت على شخ نورها خيوط العناكب، والحشرات الميتة، لم يكن أصحابه في السجن، أو سيصبحون أصحابه القريبين سجناء عاديين، كان أكثرهم من اتهم بتهم كبيرة... وكان القبو خاليًا من أي مظهر من مظاهر الحياة، لا أسرة، لا فرش، لا أغطية، لا ثياب لا قري ماء، لا شيء، باستثناء كميات من الحشائش ملقاة بإهمال هنا وهناك، يجمعها السجين إذا أراد أن ينام ويجعل منها فراشه، وفي البهو مصاطب صغيرة من الحجر ترتفع عن الأرضية البهو، يجلس إليها المساجين إذا أرادوا الحديث، أو ينام الآخرون، ويتحرك في هذا البهو عشرات المساجين حركات عشوائية)) (المصدر نفسه: ٢٢٣-٢٢٤).

وبعد هذا الوصف البسيط للسجن، تحوّل السجن بفضل دعوة يوسف إلى مكان نظيف في مظاهر الحياة، وبدأ الناس داخل السجن يلتفون حوله حتى رأوه ذات ليلة واقف يدعو بدعاء يسعد القلوب، فبدأوا يؤمنون به، وجهر بنوبته داخل السجن، يقول العتوم: ((كان قليل النوم في الليل، وقام يصلي تلك الليلة، رمقته عيون كثيرة في القبو الفسيح، واستوى كأنه عمود من النور وسط الظلام، وشكّوا أن هذا الذي يقف هذا الموقف هو من جنس البشر، إن نوره ليملاً كل عين تنظر إليه، ونظروا إلى قلوبهم فوجدوا فيها ما تبقى من كلماته، كأن كلماته نور، كأن كل ما يمت له نور، وسمعوه يدعو دعاء غريباً لم يألفوه، واقترب منه نفر منه، وحبوا إليه على ركبهم ببطء، حذرين أن يزعجوا هدأته... فأرهفوا

السمع فتيقنوا أن السجن له قلب كقلوبهم، وأن الحجر له مشاعر كمشاعرهم أو أرق، وأن القناطر لها أحاسيس كأحاسيسهم أو أرهف، وشعروا أن كل شيء حوله يخشع، وأن بكاء السجن ومن فيه قد وصل إلى السماء)) (المصدر نفسه: ٢٣٢).

ثم يحدث أمر آخر دخل هذا المكان / السجن، وهو دخول السجينين اللذين حاولا قتل الملك إلى أن رأى كلاهما حلمًا، ثم نبأهما يوسف عن تفسير ذلك الحلم، بأن أحدهما سيموت والآخر يعود لمهنته الأولى ساقياً للملك، حتى حصلت رؤيا الملك التي طلب تفسيرها، فتذكر الذي نجا من سجن النبي يوسف، فأخبر الملك عنه، يقول: ((ورأى الملك في النوم ما لم ير من قبل، وتقلب في الفراش في كل لحظة يتلوى كما جرى الأمر فيما مضى، رأى بقرات ممتلئات سمينات وقد انتفخن من تراكم اللحم يخرجن من نهر النيل، الواحد تلو الأخرى... والملك يعدهن حتى صرن سبع بقرات كاملات... ثم رأى الملك أن النيل ثار من بعدهن، ثم انشق عن بقرات آخر، لكنهن هزيلات عجفاوات، تكاد أضلاعهن تبين لرقعة جلودهن وقلة لحومهن.... مضت ليلة، ليلة واحدة فحسب ليرى الملك رؤيا جعلت ألمه يتفاقم، رأى نفسه في حقول فسيحة ممتدة، والأرض خالية من كل شيء، ولا نهاية لها، وكان يمشي في الحقول فلا يرى إلا تراباً أصفر يابساً... ثم أنه سمع فجأة سمع للأرض صوتاً تحت قدميه، فنظر إليهما فإذا الأرض تتشقق من تحتهما، فتراجع مذعوراً، فظل ينظر، فرأى سنبلة قمح قد شقت طريقها من باطل الأرض في تلك اللحظة، ونمت أمام عينيه، وشدت جذعها... وتتابع خروج السنبلات، كان الملك يعدهن سنبلة سنبلة، حتى بلغ عددهن سبعاً، فلما اكتمل عددهن، سمع صوت طقطقة شديدة تشق من جديد، وإذا كل سنبلة خضراء تشق من تحتها سنبلة صفراء، فتأكلها، ولا تبقى حبة قمح واحدة منها، عجب الملك أن السنبلة الصفراء بعد أن التهمت الخضراء ظلت على لونها ويسسها ولم تحمل حبة قمح واحدة)) (المصدر نفسه: ٢٧٠-٢٧٢).

وبعد هذه الرؤيا طلب الملك تفسيرها، فأخبره الذي نجا من السجن بسبب تفسير يوسف لرؤياه، فتحدث عن هذا الأمر، فطلب منهم أن يحضروا له يوسف، ومن هنا أصبح يوسف مكيناً عن ملك مصر بعد تأويله البديع لرؤيا الملك فكان سبباً في خلاص أهل مصر من الجوع والقحط.

## ٥-٢-٥- قصر آمنحوتب / آخناتون

وكما قلنا بعد أن سجن يوسف دخل معه شخصان، ثم فسر رؤيتهما وخرج أحدهما وعاد ساقياً في القصر، حتى رأى الملك رؤياه المعروفة، وبعد أن فسر وأول يوسف رؤياه الملك، استدعاه لقصره ليدير خزائن مصر ولقد استدعى السجناء بعد تحررهم لمساعدته في المهمة الموكلة إليه، يقول العتوم: ((فوطئوا بأقدامهم المتشقة الطنافس وفرش الحرير، ولطخوا بأيديهم المليئة بطمي النيل ووحل التعب أعمدة القصر الشاحخة، فدخل الطين في أفواه الأفاعي والكلاب المنقوشة، والملك ينظر إليهم ويتسم، ويسمع أمه تهمس، هي تكز على أسنانها: لقد جنّ ولدي، لم يبق في مصر إلا أن يدخل الحمير والقروء إلى القصر بعد ما أدخل العبيد، وصاحت: يا لهيبة الملك، وانتفضت أفاع كثيرة تحتبى خلف جدران القصر، وفوق أعمدته لصيحتها، استقبلهم يوسف في قاعة اتخذها مركزاً لعمله، فقال لهم: الحرية عمل، الحرية أن تبذل روحك من أجل فكرة، من أجل غاية نبيلة، وأن وراءنا أمماً جمّة وشعوباً غفيرة تنتظر منا أن نُنقذها من الموت والجوع)) (المصدر نفسه: ٢٨٦).

بالرغم من أن السرد القرآني لم يصرح بالمكان، إلا أن الروائي أيمن العتوم أجاد وأبدع وفصل في وصف القصر ومملكة مصر قبل أن يمكن الله ليوسف خزائن مصر بعد تأويل الرؤيا، فلقد رافق "قطفير" لتقديم تقرير "لأمنحوتب الثالث" والد "آخناتون" عن أفعال الكهنة، يقول العتوم: ((وصمت يوسف، وتبع سيده، وركب معه في العربة المذهبة، ودخلا بوابة القصر العالية، ورأى يوسف أن القصور تتفاوت في البنيان، وحدث نفسه: إنّما تعلق حجارة حجارة، وانتظرا قليلاً بعد البوابة العالية في المهيح الممتد قبل أن يأتي ستة من العبيد الأشداء، وينزلوها على الأرض، ليجلس فوقها يوسف وقطير، ثم الستة يرفعونها من جديد ويسيرونها بها إلى بوابة أخرى... وكان الملك يجلس على كرسي العرش المزين، عن يمينه زوجته، وبعض وزرائه، وعن يساره "آخناتون" ولي عهده الذي كان طفلاً في الثامنة من عمره)) (المصدر نفسه: ١٧٣-١٧٤).

## الخاتمة:-

بعد هذه الجولة في أروقة رواية "أنا يوسف" وإظهار الزمكانية جاءت النتائج متغلغلة في دهاليز البحث؛ فهو بحث تحليلي يثمر نتائج الجزئية في أغلب الأحيان في مواضع من

التحليل ويمكن أن نجمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث على النحو الآتي:

١. إن الزمان والمكان من العناصر المهمة في بناء كل عمل روائي، إذ يشكّلان عنصرين مهمين في بناء العمل السردى إذ لكل منهما أدواته وأنواعه وأبعاده وما لهذه الأمور من أهمية داخل أحداث العمل الفني، لذلك نرى أن الكاتب أولى أهمية بالغة لهذين العنصرين في بناء نصّه الرواية. كما أن شخصية أيمن العتوم شكّلت أدبياً بارعاً في جميع أعماله الأدبية، فبرغم من كونه مهندساً إلا أنه برع في كتابة النصوص الروائية والدواوين الشعرية والمسرحيات، فهذا يدلّ على غزارة ذهنيته الفكرية القادرة على انتاج نصوص أدبية ذات حبكة فنية كلّ منها تختلف عن الأخرى، فكلّ واحدة منها لها أسلوبها الخاص وروقتها وقوتها في التعبير عن الموضوع الذي تعالجه، ومن هذه الأعمال رواية "أنا يوسف"، ذات الطابع الديني حيث وظّف العتوم أحداث الرواية ببراعة منقطعة النظير تدلّ على قوته في حيك النصوص، وخصوصاً الزمان والمكان فيها.

٢. برزت أهمية الزمان والمكان هذه الرواية من خلال توظيف الكاتب لتقنيات هذين العنصرين، حيث نرى أن أنواعاً من الأمكنة والأزمنة قد وردت في أسلوب الكاتب، فالكاتب كثيراً ما ركّز على الأماكن المغلقة لكثرة الأحداث التي حصلت بها لبطل هذه الرواية، كالجب والسجن.

٣. استعان الكاتب بالتقاطبات المكانية المتضادة بشكل مكثف في روايته، ليكشف للمتلقّي عن حالة التناقض التي كاف يعيشها أثناء تجاربه الذاتية، حيث أن هذه التقاطبات تمثل في الأماكن المختلفة التي وردت في نصّه الروائي، فمن الأماكن المتضادة "بيت العزيز" حيث الحياة الهائلة الرغيدة، و"السجن" المظلم حيث الحياة المرعبة والتي لا يمكنه أن يرى الحياة الهائلة التي كان يعيشها في بيت العزيز.

٤. وقد أسهمت الاتجاهات المكانية في تعطير الصور السردية بالأبعاد الجغرافية التي توميء أو توحى بالأبعاد العاطفية والذهنية لذات الكاتب التي يحكمها الخيال، وقد انحازت الاتجاهات المكانية لإرضاء طموحات ذات الكاتب، وتعدّدت دلالاتها تبعاً لتجارب الذات فيها، وتبعاً لرؤى الذات لها.

### قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتيء به القرآن الكريم.

١. إسماعيل، عز الدين، (١٩٨١)، المكان في القصة الجزائرية، ط١، دار قباء، الجزائر.
٢. الأسمرى، على قاسم (٢٠٠٥)، دراسات في شعر العتوم، ط١، منشورات الأردن.
٣. باشلار، غاستون، (٢٠٠١م)، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع.
٤. مجراوي، حسن، (٢٠١٢م)، بنية الشكل الروائي، ط١، المغرب: دار قباء..
٥. بورايو، عبد الحميد (١٩٩٨م)، منطق السرد، ط٢، تونس: دار قباء.
٦. تاورة، محمد العيد (٢٠٠٨م)، بناء الزمن الروائي عند سيزا قاسم، ط١، تونس: الدار التونسية للطبع.
٧. التميمي، سعيد، (٢٠٢١)، دراسات في الشعر الأردني، ط١، الأردن: دار عمار.
٨. جسدي، معدي، (١٩٩٦م)، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، ط١، دار النشر: مصر: المعارف.
٩. حبيبة، الشريف، (٢٠٠٢م)، بنية الخطاب الروائي، الرياض: الدار الجامعية للنشر.
١٠. حسين، خالد حسين، (٢٠٠٢م)، شعرية المكان في الرواية الجديدة، ط١، بيروت: دار العلم للنشر والتوزيع.
١١. ربابعة، موسى، (١٩٩٩م)، قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي، ط٢، بيروت: دار صادر للنشر والتوزيع.
١٢. شاهين، أسماء (٢٠٠٦م)، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، ط١، بيروت: دار الجبل.
١٣. صالح، صلاح، (٢٠٠٩م)، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، ط٢، بيروت: منشورات محمد على ييضمون.
١٤. الضبع، يوسف عمارة، (٢٠١١)، تجليات المكان في الرواية اللبنانية، ط١، بيروت: لبنان ناشرون.
١٥. العتوم، أيمن، (٢٠١٩)، أنا يوسف، ط١، الأردن: دار عمار للنشر.
١٦. عشاب، عبد العزيز، (٢٠٠٤)، الفضاء في الرواية المغربية، ط١، المغرب: الدار البيضاء للنشر والتوزيع.

دراسة المكان في روايات أيمن العتوم، رواية (أنا يوسف) نموذجاً ..... (٦٥٣)

١٧. فوغالي، باديس، (٢٠٠٨)، ط١، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي للنشر.
١٨. قسومة، عبد الحميد، (٢٠٠٨)، تجليات الزمن الروائي، ط١، بيروت: منشورات محمد علي ييظون.
١٩. حميداوي، حميد، (٢٠٠٧م)، بنية النص السردي، ط٢، تونس: الدار الخضراء للنشر.
٢٠. لوتمان، يوري، (٢٠٠٠م)، مشكلة المكان الفني، ترجمة: سيزا قاسم، ط١، بيروت: إحياء التراث للنشر.
٢١. الماضي، جميل عزيز، (٢٠١٤)، الوفقة روايات العتوم، ط١، عمان: دار عمار للنشر.
٢٢. متران، هنري وآخرون، (١٩٩٤م)، الفضاء الروائي، ترجمة: بن عبد الواحد، ط١، تونس: دار عمار.
٢٣. محبك، أحمد زياد، (١٩٩٦م)، متعة الرواية دراسة نقدية متنوعة، ط١، مصر: دار الخانجي للنشر.
٢٤. مرتاض، عبد الملك، (١٩٩٦م)، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين، ط٢، بيروت: دار الجبل للنشر.
٢٥. مرشد، أحمد، (١٩٩٧م)، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، الأردن: دار عمان للنشر والتوزيع.
٢٦. النجمي، حسن، (١٩٩٥م)، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية للنشر.

